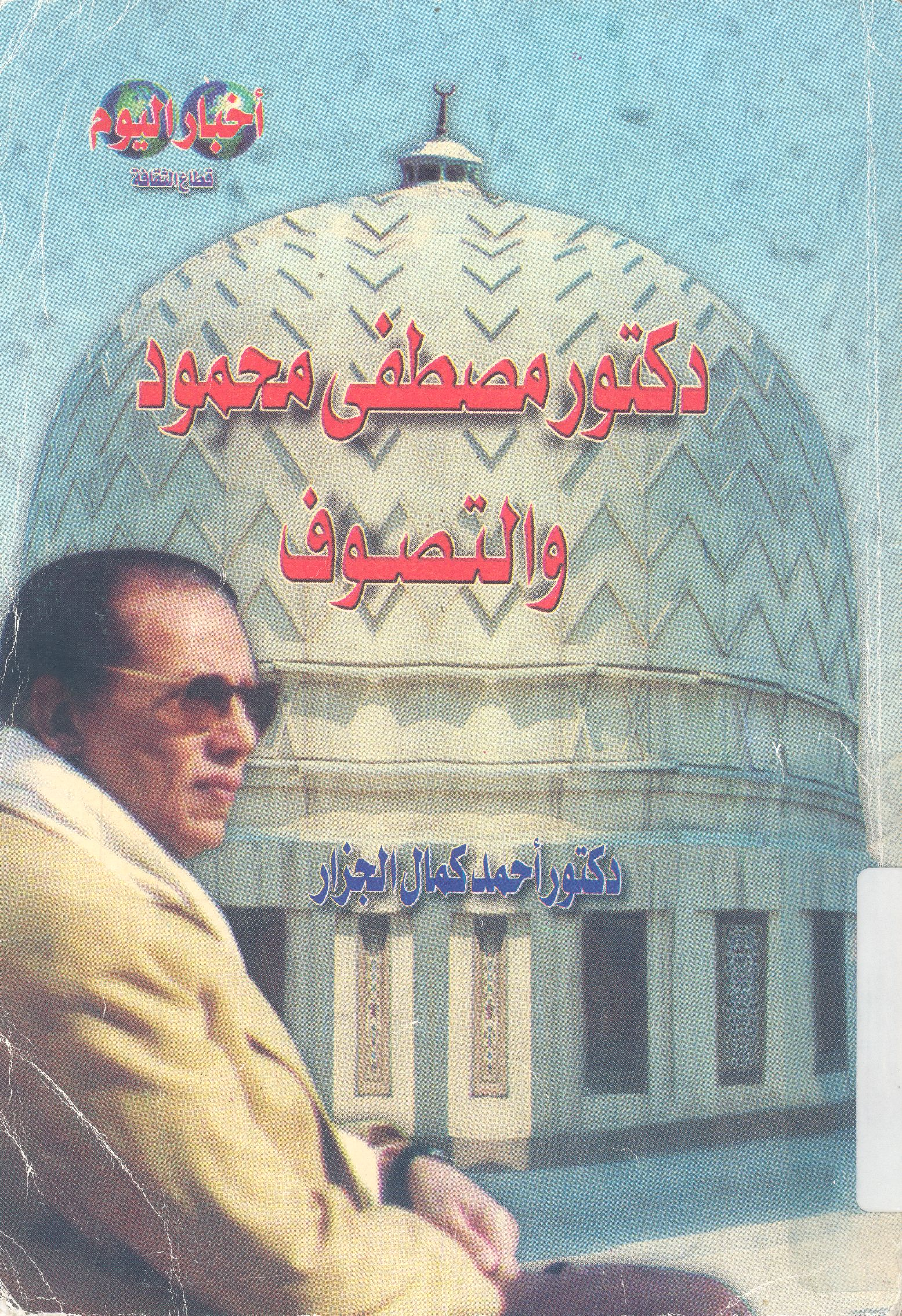
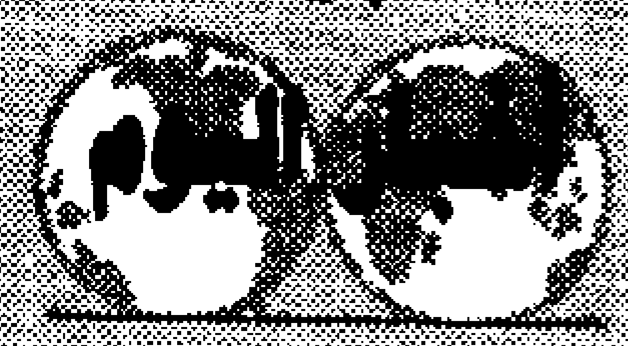

أخبار اليوم
قطاع الثقافة
دكتور مصطفى محمود
والتصوف
دكتور أحمد كمال الجزار

إهـــــــداء٢٠٠٨

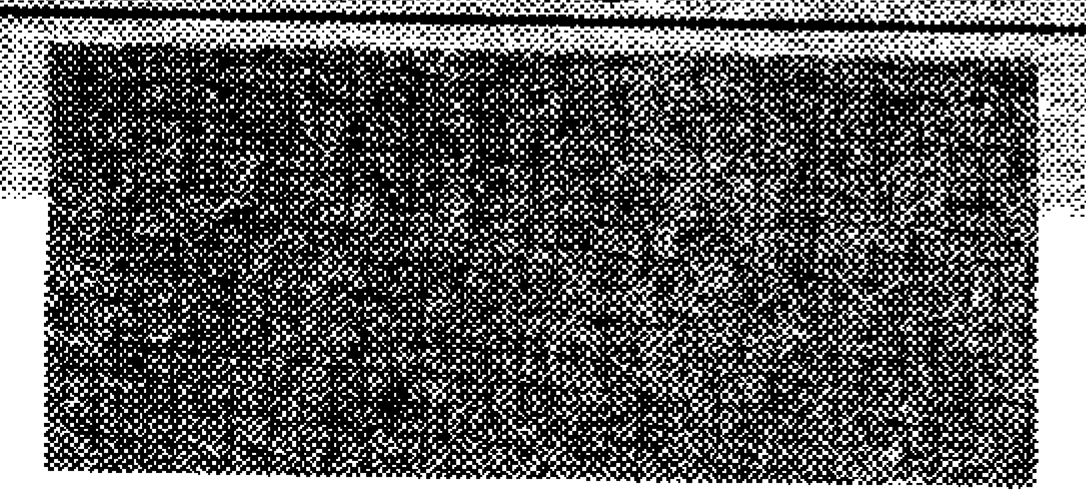
الاستاذ/احمد احمد عبد الرحمن السنباوى

جمهورية مصر العربية

مطبوعات

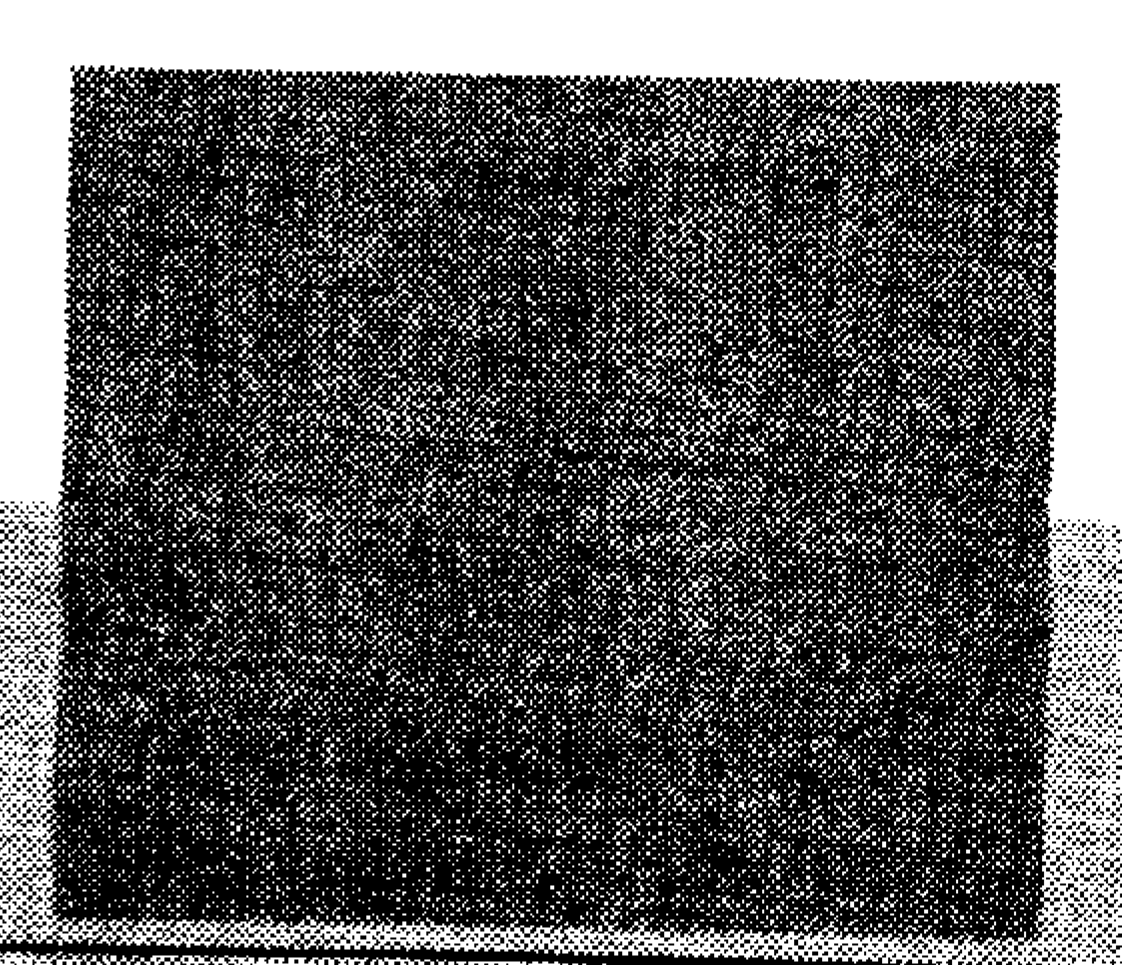


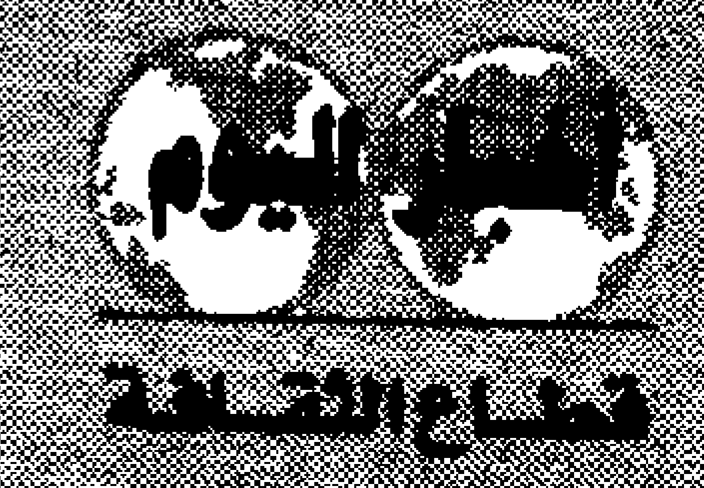
قطاع الثقافة



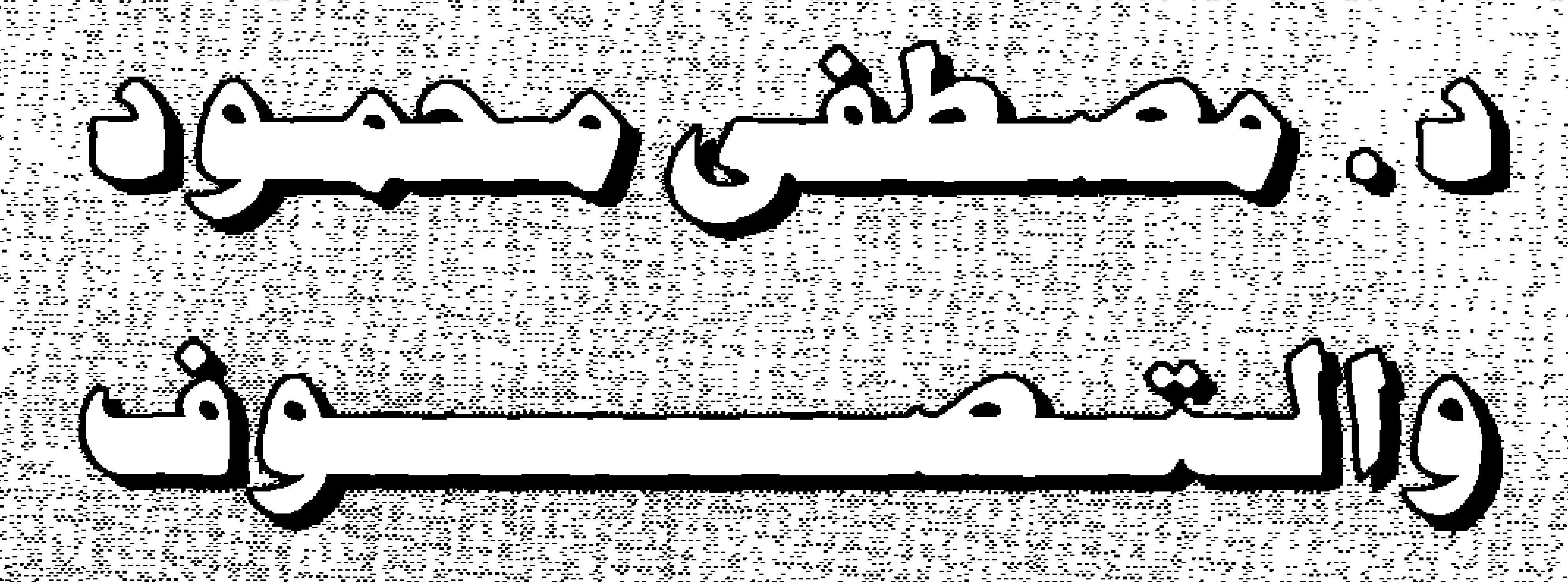
رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده





دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠



د. أحمد كمال الجزار

تمهيـــد

هذا الكتــاب يتناول دراســة أعمــال وحيــاة د.مصطفى مـحمود من جـانب جديد، لا يعـرفه عنه أغلب القراء. وهو الجانب الصوفى، وقد سبقنا غيرنا بدراســة أعمــال د. مـصطفى وتناول إبداعـه بالنقـد الأدبى الأكاديمي المنهجى الذى يفيـد المتخصصين فى هذا المجال، ولا يعنى به عـامة القـراء، وقد عرضنا التـصوف عند مصطفى محمود بطريقة سهلة ميسورة الفهم، وتعرضنا لموضوع الإبداع والفن عـموما من النـاحية الصـوفيـة، وسر عـذاب المبدع، فالكتاب يهم المبدعين وهم فى حاجـة إلى معرفة سر الإبداع، وسر عذاب المبدع وقد تناولنا هذا الموضوع من منظور جديد هو الرؤية الصوفية الغيبية الروحية، وهى أصح وأصدق رؤية لتفسير ماهية الإبداع، والذى جهل حقيقته المبدعون أنفسهم.

ونحن نكتب عن مـصطفى محـمود ، كإنســان ومفكر ومـبدع، عاشق لـلتصوف الذى هو الجـانب الروحى من الإســلام، ومحب للصوفية، ولم نكتب عنه كصوفى أو سالك (وإن كان له حظ من ذلك) أو عــارف بالله أو ولىٍّ مـن الأوليـاء. ولمـا كـان الصـــدق والتحرى والتدقيق والوضوح أموراً لازمة عند دراسة هذا الجانب، لجأنا إلى أخذ مصدر معرفتنا من الدكـتور مصطفى محمود نفسه أولا، بإجراء حـوار طويل معه، وثانـيا بدراسة مـؤلفاته بما فيـها مجـموعة الصراع الـعربى الإسرائيلى. وإن كان مـضمونـهـا يبدو

بعيـدا عن مجـال التصـوف إلا أن منبع كتـابتهـا، ومصـدر إلهام د.مصطفى محمود لعرض وحل المشاكل العالمية فى هذه الكتب هو البصيرة القـلبية أولا، يتوج ذلك كثرة الإطلاع والثـقافة والإحاطة بشئون العالم فى المرتبة الثانية.

ولقد كـان تصنيف هذا الكتاب فـى البداية عسـيرًا جـدا، لشدة تكتم د. مصطفى لهذا الجانب من حـياته، ألا وهو التصوف، وربما يعرف القارئ لأول مـرة أن د. مصطفى محمـود من أهل البيت، موصول النسب بالرسول ﷺ ولم يصرّح لى بذلك إلا بعد تعارفى به وحوارى معـه، الذى دام أكثر من شهـر لساعة أو أكثـر يوميا، كما أنه من أهل الابتلاء الشديد والمرض الجسدى المتواصل، الذى يعتبـره نعمة عظيمـة من الله عليه بها، بل يقول: إن فـترة مرضى وأنا فى كلية الطب هى التى صنعت مصطفى محمود.

ولقد استأذنت شيخى الإمام محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية والعـارف الكبير الذى لايعرفـه أغلب القراء، فى تصنيف الكتـاب فقال: «يا ولدى، د. مـصطفى مـحمود رجل ظلـمه الأدباء لدينه، وظلمه العلمـاء لأدبه، وما يحسبـونه عليه من أخطاء هى له وليست عليه، فاكتـب عنـه». كـان هـذا الكـلام دافعا قويا لـوضع هـذا الكتـاب، الـذى قـام د. مصطفى مـحمـود بدور كبـير فـيه، وساعدنى بكل ما يستطيع من وقته، وآرائه، وتوجيهاته رغم كثرة مشاغله.

والكتـاب مدخل لقراءة د. مـصطفى محـمود من جـديد، فبـعد معـرفتى به عن قـرب، وقراءتى لكتبـه أكثـر من مرة، وأدركت أن أكثـر القراء لايعرفون حـقيقتـه، رغم شهرته العـريضة بينهم فى مصر والعـالم العربى، والدول الأوروبية التى ترجمت إليهـا كتبه، وكـتـاب (حـوار مع صـديقى الملحـد) ترجم إلى الفـرنـسـيـة

والانـجليزية، ويـترجم الآن إلى الألمانية، وأوصى كـل هواة القراءة فى الأدب وكل الفنون، والدين، والسيـاسـة، من الصـغـار والكبار، بالبدء بقراءة مـؤلفات د. مصطفى محمـود أولاً قبل أى قراءة فى تلك المجـالات. حتى يعرف القـارىء الفرق بين الحق والبـاطل فى وضوح ولا ينخدع بأسماء الكتاب وشهرتهم. فهذا ليس دليلا على صحـة وصدق فكرهم. ود. مصطفى مـحمود كاتب ملتـزم يسعى لرضا الله، ولا يعـنيه رضا الناس والسـر الذى يكمن وراء تكوين شخـصية مصطفـى محمود وجـاذبيته وحب الناس له من جـميع الطبقات والأعمار، هو تدينه الصوفى وحبه لأهل الله وهو الجانب الذى سيعرفه القارىء فى هذا الكتـاب بالتفصيل، والله تعالى ولى التوفيق والعناية بعباده.

مقـــدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبى ﷺ ومن والاه، ورضى الله عن أصحابه وأتباعه وجميع أهل الله وبعد.

لا أجد حرجا في تكرار الكتابة عن التصوف ، حين أشرع فى تصنيف أى كتاب يتعلق بهذا الجانب الإسلامى، فالتصوف أرقى مرتبة يصل إليها المسلم في جهاده الأكبر، جهاد النفس. فى طريقه إلى معرفة الله تعالى. وهى الغاية التى خلقنا الله من أجلها، فالكون بما فيه الإنسان هيكل محسوس أظهره الله تعالى لفترة مؤقتة، ظلاً للعالم الغيبى الحقيقى ليعرف الإنسان ربه. ومعرفة الله تشمل معرفة حقيقة ما فى الكون من معنى وحس وباطن وظاهر، ومن غفل عن هذه الحقيقة فلا فائدة ولا معنى لحياته. قال ذو النون المصرى: السفيه من الناس من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه.

ولا يملُ كل من كتبوا عن التصوف من ذكر تجربة الإمام أبى حامد الغزالى (٤٥٠- ٥٠٥ هـ) وحديثه عن الصوفية فى كتابه الرائع (المنقذ من الضلال) يقول:

«لاحظتُ أحوالى فإذا أنا منغمس فى العلائق (علائق الدنيا)، ولاحظت أعمالى وأحسنها التدريس والتعليم فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة فى طريق الآخرة، ثم تفكرت فى نيتى فى التدريس فإذا هى غير خالصة لوجه الله تعالى، بل

باعثها طلب الجـاه وانتشار الصيت، فتيـقنت أنى على شفا جرف هار. ولم يبق من العـمر إلا القليل، ووجدت جـميع ما أنا فـيه من العلم والعمل رياء وتخييلا، فالتجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذى لا حيلـة له، فأجابنى وسـهّل على قلبى الإعـراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحـاب [إعراض باطنى قلبى وليس إعـراضا ظاهريا من ترك رعاية الأولاد وشئون الدنيا].

وقـدمت على سلوك طـريق التـصـوف مـقـدار عـشـر سنين، بالمجـاهدة والخلـوات، والذكـر والعـبـادة، وانكـشف لى فى هذه الخلوات أمـور لا يمكن إحصـاؤها أو استقـصاؤها. والقـدر الذى أذكره لينتفع به، أنى علمت يقينا أن الصوفية هم السابقون لطريق الله خاصة، أن سـيرتهم أحسن السير، وطريقـتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أذكى الأخلاق. بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسـرار الشرع من العلماء، ليـغيِّروا شيـئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خـير منه لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جمـيع حركاتهم وسكناتهم مـقتبسة من نور مـشكاة النبوة. وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به أ.هـ [1].

هذه يا أخى شهادة الإمـام الغزالى للصوفيـة، وهذا كلامه عن نفسـه، وكان إمامـاً لخراسان والعـراق، وحاز فى زمنه الشـهرة والجاه والنفوذ، بل حاز من الاحترام مـا يشبه التقديس، ولم يجد منقذا من الضـلال، إلا سلوك طريق التصـوف.. فكيف يكون حال عامة الناس؟!

وفى كل مرة أكتب عن التصوف أجد حـيرة فى اختيار تعريف معنى التصوف فتعريفات التصوف تزيد على الألف تعريف، ولكن

---

(١) المنقـذ من الضـلال. أبو حـامد الغـزالى ط مكتـبـة الجندى١٩٧٢ من ص ٦٨- ص ٧٧ باختصار.

الله يوفقني بـعونه إلى اختـيار المعاني الصـوفية، التي تعـبر عن الشخصيـة الصوفية التي أتحدث عنها، وعن د. مـصطفى محمود نقـول: (التـصـوف خُلق، فـمن زاد عليك في الخـلق زاد عليك في التصوف) فكاتبنا يخجلك بأدبه وتواضعه وكرمه وحسن أخلاقه، ولم أكن أتخيل أن يفسح لي من وقته الثمين سـاعات نتحدث معا، فلا يضـيق بالحديث ، بل يجـيبني بكل رضـا وسعـة صدر، وإذا اختلفت مـعه في مسألـة، يسعى إلى تعريفي بالحـقيقة بطريقـته الطريفـة، وأسلوبه السهل الميـسور. فكاتبنا قلبـه يمتلئ بالرحـمة والشفـقة والحب، لكـل إنسان يبـحث عن الحقـيقة، ويسـعى إلى معرفة الله تعالى. وقد منَ الله عليه بمكارم الأخلاق، وهل الإسلام إلا خلق؟ وهل بعث الرسول إلا ليتمم مكارم الأخلاق؟.

ويقول شيخي مـحمد زكي إبراهيم: «الصوفي الحق هو المسلم النموذجي، المتمـسك بالكتاب والسنة في نقاء وسماحـة واحتياط، والتـصـوف الحق هو الإسلام فـي أعلى مسـتـوياته، والصـوفي يتحلى بكل وصف حمـيد مثل الشكر والصبـر والزهد، والتصوف تجربة تـصل بك إلى التذوق والصـفاء والمشاهدة والـوصول إلى سرِّ الذات والخلافة على الأرض. ولا يغني في هذه التجربة مجرد العلم، غير أن التعبيرات الصوفية، إذا عولجت بالإحساس والتعمق والمعاناة والتـذوق كانت قادرة على تغيـير الباطن الذي يتغـير به الظاهر، فـيـولد الإنسـان ولادة جديدة، أمـا مـجرد قـراءة كـتب التصوف بلا معانـاة فهذه متعة ذهنية وثقافة عـقلية، وقد تشارك فيـها النفس الأمـارة بالسوء فـتكون طريقا إلى الضـلالة طردا أو عكسا» أ. هـ [1] .

وقد أخـذ د. مصطفى محمـود بكل هذه المعاني في كتـابته عن

---

(١) أبجدية التـصوف الإسـلامي. الإمام محـمد زكي إبراهيم. منشـورات العشـيرة المحمدية ١٩٩٥ ص ١٣٨

التـصـوف، واحـتـاط أن يكـتب تجربتـه الذاتيـة، أو أن يتـعـرض للأسرار الإلهية التى قال عنهـا شيخنا إنها تؤدى إلى الضلالة إذا شـاركت فيـها النفس الأمـارة . وأغلب نفـوس الخلق ـ للأسف ـ أمارة بالسوء.

وإذا جاهد الإنسان نفسه بدون شيخ مرشد كامل، لايتعدى فى سلوكه النفس اللوامة.

والنفس الأمـارة صفـاتها الجـهل والغضب والحـقد والحـسد، والبخل والكبر والعجب والغرور والرياء وحب الجاه وكثرة الكلام فيمـا لا يعنى، وكثرة المزاح والتـفاخر، وكثـرة الضحك التى تميت القلب، لذلك كان الرسول ﷺ يبتسم.

يقول الشـيخ عبد الخـالق الشبـراوى: النفس الأمارة لا يتمـيز صاحـبها عن الحـيوانات إلا بالصـورة والشكل الظاهر. وهى من أعدى أعـداء الإنسان كمـا ورد فى الحديث الشريف، وإذا اشـتغل الإنسان بالرياضـة والمجاهدة التى أساسهـا الكتاب والسنة، ترقى إلى النفس اللوامة وهى نفس الأبرار والمتقين، تلوم صاحبها أحيانا على فعل السيـئات لكنها تتصف بالعـجب والاعتراض على الخلق، والرياء الخفـى وحب الشهرة والرياسـة، وقد تبـقى معـها بعض أوصاف النفس الأمارة. ولها أعمال صـالحة من قيام وصيام لكن صاحبـها يحب حمد الناس له وثناءهم عليـه ويكره ذمهم له. وهو على خطر عظيـم؛ فحـاله لا يخلو من الـشرك الخـفى. وصـاحب النفس اللوامة لا يتعدى هذه المرتبـة مهما فعل، إلا إذا سلك على يد شيـخ كامل عـارف بالله. ولا يشم الإنسـان رائحـة النفس الثالـثة وهى الملهمة إلا بالفناء فى شهود نفسه، وهذا لايكون إلا بالسلوك الصوفى. ويقرِّب الإمام الشبراوى المسألة إلى الناس بضرب مثال قال به الإمـام أبو حامد الغـزالى من قبل ولكن الشيخ الشـبراوى

بسطه وسهّل فهـمه أكثر. قال: النفس مـثل شجرة خبيثـة عظيمة الجثة كثيرة الأغصان، كـل غصن منها يثمر نوعا من السم القاتل. فاشتـغل صاحب النفس اللوامة بقطع تلك الأغصـان ولم يتعرض لتلك الشـجرة مـن أصلها ولا لقطع المـاء عنها لتـيـبس فلم يمكنه الخـلاص منها، لأنـه كلما قطـع غصنهـا نبت غـيـره لبقـاء أصل الشجرة أمـا صاحب النفس الملهمة، فجـاء وقطع الماء عن الشـجرة فضعفت ولم تثـمر شيئا من السموم، والأبـرار مقبولون عند الله لكنهم لا يخلون من الأكدار ومتاعب الدنيـا والآخرة، وأما المقرّبون فهم أفـراد قليلون استـغرقـوا فى شهود الحق فنسـوا الخلق فلم يخطر ببالهم لَذَّات الدنيا ولا نعيم الآخـرة، فاستراحوا. أ.هـ [1].

والطريق إلى ذلك هو تقليل الطعـام والمنام والكلام والذكر على الدوام والاعتزال بعد فراغك من مـصالح الدنيا التى كلفك الله بها على الحـدّ المشـروع. وليس من المسلم مـا يسـمى بوقت الفـراغ، والعمـر قصيـر والأنفاس معـدودة. فأين الفراغ؟ فـإذا فرغت من عملك الدنيوى وهو عبادة فانصب فى خدمة الله وهى عبادة أرقى وأهم، وإلى ربك فـارغب فى معـرفتـه، وتلك قمـة العبـودية وهى مطلب الإنسـان العـاقل، وسـوف تجـد اللذة التى يقـول عنهـا الصـوفيـة: لو علم الملوك ما نحـن فيـه من راحة لقـاتلونا عليهـا بالسيوف ولن يجـد الملل والضجر والشعور بالفـراغ وأمثال هذه المشاعر الـلعينة، إلى حياتك ثغـرة تنفذ منها. وبعد النفس المـلهمة تترقى إلى النفس المطمـئنة، وهنا تضع أول قدم فى السلوك الآمن من القواطـع الخطيرة، وتخلص من جـميع الآفات، ثم تـترقى إلى

(١) مـراتب النفس. عبـد الخالق الـشبـراوى طـ جـمعيـة الشبـراوى ١٩٨٩ ص ٢٢- ٤٥ باختصار وتصرّف .

النفس الراضية ثـم المرضية ثم الكاملة وبعدها تبدأ الـسير القلبى والعـروج الروحى وليس هنـاك نهايـة للتـرقى فى الدنيـا ولا فى الآخرة.

وحديثنا عن النفس هو شرح مبسط للسلوك الصوفى، ومدخل لفهم فكر كـاتبنا وخصـوصا مسـرحيتـه (عظماء الدنيـا وعظماء الآخـرة) فالمسـرحيـة حوار بين النـفس الأمارة والنفس اللوامـة، واحتار القراء حين قال الكاتب أن كل ما على المسرح نفس واحدة، و د. مـصطفى لا يستـطيع أن يكشف الأمر أكـثـر من ذلك. فهـو يشرح حقيـقة إلهية قال بها الشيخ الأكـبر ابن عربى، وهى تضـاد الأسماء الألهـية، وتجليها على النفوس البشـرية وابن عربى يقول عن هذه المعارف الراقية والأسرار العالية فى كتابه فصوص الحكم فى باب (فص حكمة حـقية) فى كـلمة اسحـاقية نسـبة إلى النبى إسـحاق عليه السلام:

فمن شـهد الأمـــر الذى قـد شـــهدتُه
يقـــول بقـولى فى خـفاء وإعـلان
ولا تلتفت قـــولاً يخـــالف قولنـــا
ولا تبذر السمراء فى أرض عميان

أى لا تعلن المعرفة الإلهـية والأسرار السنية، مكشوفـة سافرة، لمن لا يستعد لقـبولها، فهو أعمى البصـيرة، لذلك لم يتطرق كاتبنا فى مسرحيته إلى النفوس الأخرى.

سـألتـه: لمَ جـعلت النفس اللوامـة تنطق بالمعـارف والأسـرار الإلهية وهذا ليس مقامها؛ إذ إن ذلك من خصائص النفس الكاملة؟.

قال: أعـرف ذلك تماما. لكن عامـة القراء لا يعـرفون إلا النفس

اللوامة فكيف أحدثهم عن مـراتب نفسية لم يسمـعوا عنها؟! ورغم مـحـاولتى تبـسيط هذه المـسألة، فـقـد وصلتنى رسـائل يقـول أصـحابهـا، إنهم لم يفـهمـوا شيـئا ولـم يفطنوا إلى قصـدى من المسرحيـة، وأنا أكتب لعامة الناس، وليس للأوليـاء العارفين بالله، فهؤلاء ليسوا فى حاجة إلى قراءة كتب مصطفى محمود.

أقول: الكل في حاجة إلى قراءة وفهم كتابات مصطفى محمود. ولكن المدخل إلى فـهـمـه صعـب، رغم سهـولة عـرضـه لأفكاره ووضوح رؤيته، لأنه لا يكتب للـتسلية والثقافـة، وإنما يكتب رغبة في تغيـير نفس القارئ إلى مـا هو أفضل وأقـوم. ومن لم يفعل ذلك بعد قراءة مؤلفاته فما قرأ ولا فـهم ولااستفاد، وعليه أن يعيد القراءة، ويهيئ نفسه لذلك بالتصفية والتحلية، وأعتقد أن كثيرًا من الناس لم يفهموا كاتبنا رغم إعجـابهم به وشهرته العريضة بينهم؛ لأنه يرمى بكتـاباته إلى مرام راقيـة وبعيدة تحـتاج إلى جـهد من القارئ لمعرفتها.

ومع أن كتابنا عن مصطفى محـمود والتصوف، إلا أنه تعريف بحقيقة كاتبنا، وكيف يفهـمه القارئ ويعرف قصده وهدفه، حتى مـؤلفاته ومـجمـوعـة الصراع العـربى الإسـرائيلى.. لا تخلو من التصوف بل لا نبالغ إذا قلنا أن منبع إلهـام كاتبنا فى بث الحقائق فى هذه المؤلفات ، هو التـصوف والبصـيرة القلبيـة التى تنفذ فى التفـصيل الكونى والأحـداث السيـاسيـة والاقتـصادية والعلمـية والدينية وغير ذلك مـمًا ستعرفه فى حينه.

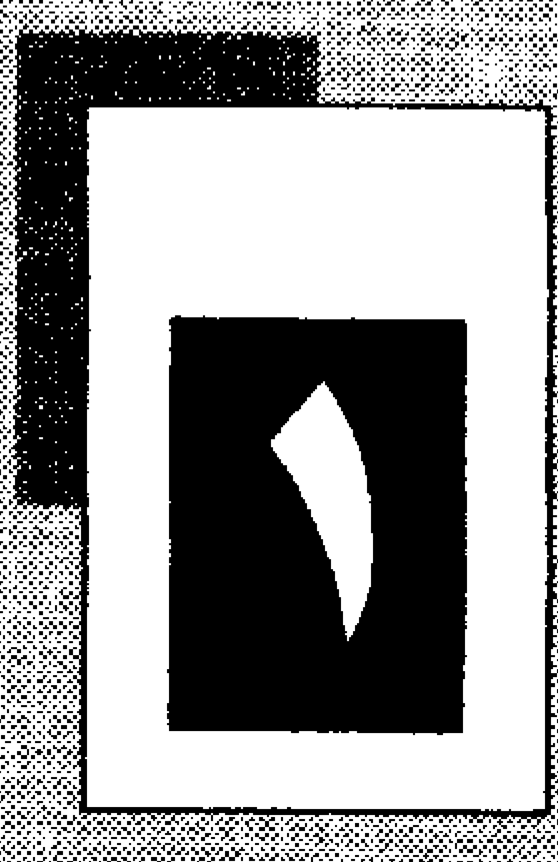
ونشرع الآن بعـون الله تعالى وبأنفـاس رسول الله ﷺ وأهل بيته وصحابته وأهل الله ومشايخنا في تصنيف الكتاب.

وقد بدأنا بإشارات جـريا مع ما يدوِّنه الصوفيـة فى مؤلفاتهم حتى نأخذ القـارىء من عالم العبارة، إلى عالم الإشـارة، واخترنا إشـارات فى منتهى الـوضوح، وعلى القـارىء أن يتـرك العبـارة ويفـهم الإشـارة، التى سـتـرد بطريقـة صـعـبـة حين يتـحـدث د. مصطفى محمود عن التـصوف والنفَّرى وابن عربى وأفكارهم الصوفية.



د. مصطفى محمود

والتصـــــوف



إشـــارات الوصـــول إلـــى مضمون الفصـــول



الحمد لله الأعز الأكـرم. الذى أخذ بناصية الكون إلى الطريق الأقـوم، سجـد له النجم والشجـر، وكل مـمكن يرجع إلى مـا منه صـدر، فيـعود التـائه إلى قافلـته، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]. يعيش الخلق فى كـرمه ونعمائه ويحسـبون أنهم في بلائه، الواسع الذى جـمـع وفـصَّل ودبّر، وهدى وأرشـد وبشـر وأنذر، خلق الناس ، ونوَّع الأجناس، فاختار كل مخلوق ما هو فيه الآن، قـبل خلق الزمان والمـكان، فيـاذا العقـل والمنطق والقيـاس، لا تشـغل قـلبك بإلقـاء الوسـواس الخناس، فنقع فى الحـيـرة والالتباس، فقد أمد ربك الناس، هؤلاء وهؤلاء بما اختاره كل واحد من نعيم وشقاء. التراب أصل الأشباح، والنور أصل الأرواح، وكل من وإلى أصله جاء وراح، ومن عـرف الحقيـقة استـراح، ولايفهم الإيماء إلا الغرباء الأمنا الأخفياء.

هذه إشارات مختصرة لفصول الكتاب المنتثرة، للأتقياء البررة، ماهى للفـجرة، ولا للحيوان النكرة، وإنما لأولى الألبـاب، أصحاب العناية الأزلية فى أم الكتاب.

فـاعلم يا أخى أن الله عـدَّلك، وفي أحـسن صـورة خلقك. ما أجـبرك ولاسـيَّرك، وإنما وسَّع عليك وخـيَّرك. فـلا تخرج من

الرحمة مع من خرج، ولا توغل فتدخل فى الحَرج، رحمك الله فظلمت نفسك وفى هذا هلاكك وحتفك، جفت الأقلام فلا تبديل، فخذ نفسك بالتعديل، واسرج القنديل ، كى تُحشر فى ظل ظليل، وتجوز الصراط ولا تميل، وحقِّر القليل، وعظِّم الجليل، واعمل بالتنزيل واستعد للرحيل. وخذ النصيحة من مذنب عليل، يدعو لك بالختام الجميل، وعدم التحويل.

الكل في عناء وهناء، تحت سطوة الأسماء. إلا من شرب ومن لذة الاسم طرب، فهو فى عناء الهناء، وهناء العناء، ماهى عنقاء، ولا نقش فى ماء، بل شمس فى سماء، يراها القلب السليم، ويعميٍ عنها السقيم، قرب العزيز عزيز، ونحن فى الدهليز، فقد هبَّ النسيم من الجنان، والدخان من النيران، ما فى داخلك يقودك إلى منزلك.

لا كرب مع الرب، ولا مأساة مع الله ، ولا رجيم مع الكريم، فاهرب من نفسك وفرّ إلى ربك.

وأصلى وأسلم على المعلم الأول، والرسول الأكمل ﷺ الرؤوف الرحيم، وشفاء السقيم، وبهجة الكظيم، الحبيب المحبوب، مفرج الكروب وطب القلوب، صاحب اللواء، وكاشف البلاء، وملاذ المنكسرين الضعفاء الأقوياء، شرح الله صدره ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فمن عرف بعض قدره، يسَّر الله له أمره، فهو الواسطة والوسيلة، الإحاطة بقدره مستحيلة، قيل لأهل الخرق: قفوا فمن تقدم احترق، فلزموا الأدب، ونجوا من العطب، وأدركوا النسب، الذى هو الآن موضوع، وغدا من ممنوع، ومقطوع، حيث يكون الحبيب مع الحبيب ، (سلمان منّا)وأبو لهب غريب، فإن قلت: أنا من أمته، قيل لك لم تعمل بسنته، فهو جد كل تَقِىّ، وولِى

صـفى، فمـاذا قدمت؟ أكـلت وغفلت ونمت، مـا لهـذا خُلقت، لكنك منحوس ، وقلبك مطمـوس، ما أدركت قدرك، ومـا عرفت عند الله كرمك، خلقك فى أحـسن تقويم فأنت سر عظيم، فـقم من رقدتك، وانتبه من غفـلتك واعلم أيها الأخ الكريم، أن الأمر عظيم، والخطب جـسيـم، والزمان لئـيم، ومـا الزمـان إلا الناس، وهم الآن مطيـة الخنّاس، ودواب الوسـواس، ركـبَـهم واحـتنكهم، وإلى الجـحـيم قـادهم ، فعـميت قلوبهم،*وصـارت الدنيـا همهم ، والمتـاع الزائل مطلوبهم.

وأمتنا الإسلامية ، صار نسـاؤها رجالها، ووسدّت أكثر الأمور لغـيـر أهلهـا، وفي أوحـال الفتن والمحن، غـرقنا وأصـابنا الوهن والعـفن. كنا مـتـبوعين فـأصـبـحنا تابعين، للأفـاقين والدجـالين والكذابين، ولمعت أسماء الرمم ، وتربعت على القـمم، ومال الميزان، وهذا حال الإنسان من قديم الزمـان، فيا أخى الكريم، الظلم قديم، قدم المخلـوق السقيم، والـدنيا قمـاش وورق، وبلاء وقلق، ورأس الحـصـور تحملـها داعـرة على طبق، فـفـرق بين نور الشـروق والشفق، واسـتبصـر الأمور ولا تكن غـافل، فهذا حـال الفاضل ، وذلك حـال السـافل،وانظر تاريخ الأمم: فـرعـون يحكم ومـوسـى يرعى الغنم، فـلا تغتم، فمـا هى إلا ساعـة وتقوم السـاعة، وترى الجبابرة السـادرين، أذلاء مهطعين ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]

ومهمـا كان الحال، فالزمان لايخلو مـن الرجال، وإن طغى لهو الأطفال، وعلا نفير الأندال، واخـتفى هزيم الأبطال ، فأهل القدرة، وأخيار الحضرة، يقـولون لأشياخنا: لأهل الدنيا بابهم ولكم بابنا. المرفوعون عند الخلق، مخفـوضون عند الحق، والاستثناء لا يقاس

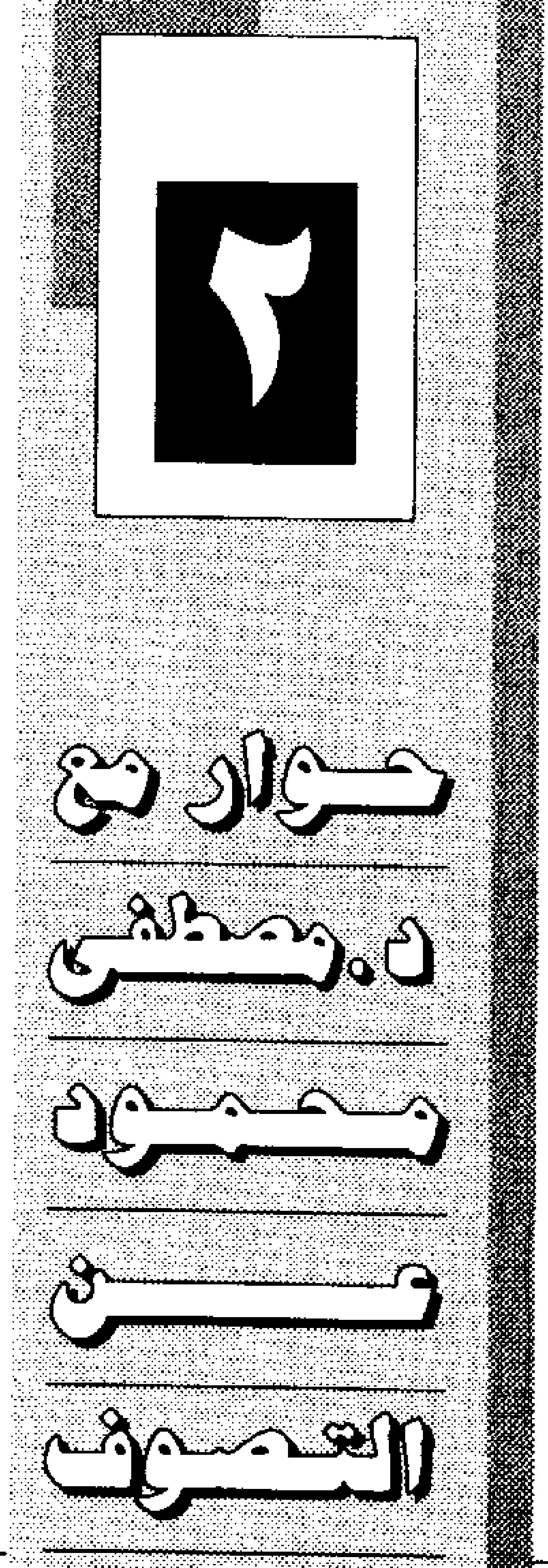
عليه، ولا ينظر إليه، فاستبطن العبارة، واستخرج الإشارة.

وربَّ أشعث أغبر، لو طلب التدبير لدبر، ولو رجا تغيير الكون لتغيَّر، لكن المعرفة والأدب منعته من الطلب، فقد علم العلم المكنون، وأدرك أن ما يعيشه الناس من شئون مدوَّن مصون وبالعناية الأزلية ملحوظ، ومسطور فى اللوح المحفوظ، وقول الله لا يبدل، والعالم فى المشيئة لايعدل. لكنك مطلوب بتنفيذ الأمر المشروع، ومنهى عن الممنوع، والله أعطاك الإرداة، فلا تركن إلى جهل العادة، واترك المألوفات ولا تخلد إلى اللذات، واذكر الله قبل الفوات، تعرف الأفعال والأسماء والصفات، ولا تفكر فى كنه الذات، فهذا طريق مسدود، السائر فيه متعب مكدود، تقطع دونه الرقاب، وتغلق الأبواب ، هذا مذهب السائر والواقف، وصاحب المخاطبات والمواقف، والمنازلات والمعارف، ندعو الله أن يبصرك بأبوابه المفتوحة وعطاياه الممنوحة، فالزم الأعتاب، واكسر الأوثان والأرباب، وجالس الوهاب، يرفع عنك الحجاب، فتسلك الطريقة وتشاهد الحقيقة.



د. مصطفى محمود

والتصـــــوف



اخترنا د. مصطفى محمود موضوعا لكتابنا، وهو مفكر معاصر. لنكشف الجانب الذى لايعرفه الناس عن حياته، وهو الجانب الصوفى ونحن لا نكتب عنه كواحد من الأولياء العارفين، لأنه لم يصرح لى بذلك، ولم يرغب فى أن أكتب عنه بالطريقة التى كنت أريدها، ومنعنى من أن أطلق عليه حتى لفظ (صوفى) وإنما نكتب عنه كمفكر محب للتصوف ولأهل الله العارفين، لنرى أثر هذا الحب فى حياته وكتاباته وإن كنت أرى أنه من أهل الله السالكين، إلا أننى أحترم رأيه وأقف عند طلبه.

واخترنا من قبل الأمير عبد القادر الجزائرى فى كتابنا (المفاخر) لنفس الهدف الذى نسعى إليه. فأغلب الناس يجهلون التصوف الصحيح والمفاهيم الصوفية السليمة، ولايعرفون عن التصوف إلا ما يشاهدونه فى الموالد وحلقات الذكر على الآلات الموسيقية ، وتزعم بعض شيوخ الطرق الصوفية للإرشاد، وهم لا يعرفون ما هو التصوف!

فهدفنا عرض نماذج من رجال التصوف المعاصرين، والمحبين لأهل الله، لنعرِّف القارئ بالتصوف الحقيقى، عسى الله أن يفتح على قلب أحد القراء، فيتجه إلى سلوك الطريق الصوفى.

اخترنا د. مصطفى محمود، لأنه خاض مجالاً فى الدعوة إلى الله من الصعب على أى داعية أن يضع قدمه فيه، وهو مخاطبة

الناس بلسان العصر ، ومنطق العلم، والتقدم التكنولوجي، وأيضا بلسان الفن: القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقال الأدبي، وهي محاولة محفوفة بالمخاطر، وفي نفس الوقت مطلوبة أشد الطلب فالقليل من القراء من يهتم بقراءة التصوف،وإذا فتح كتابا في التصوف وجد مصطلحات صوفية، وعناوين عسيرة الفهم تصده من البداية عن مواصلة القراءة، وأراد كاتبنا أن ييسر هذا الأمر لعامة الناس، لإعطائهم مجرد فكرة عن التصوف، فالتصوف ليس معرفة وثقافة ولكنه سلوك وعمل، وأعدّ د. مصطفى برنامجه التليفزيوني (العلم والإيمان) لهذا الغرض، للفت المشاهد، إلى التأمل في عالم الغيب والإيمان به عن تذوق وتزهيده في الحياة الدنيا المادية الزائلة، التي هي لهو ولعب، إذا لم تكن مطية المؤمن إلى طريق الآخرة. وحثهم على الغيرة من الأمم التي سبقتهم في مجال العلم الحديث. ومع أن د. مصطفى يؤمن تماما بأن التصوف هو لخاصة الخاصة من الناس، إلا أنه لم يجد رهبة في أن يتحدث عنه للعامة. لكنه يحدثهم على قدر عقولهم، حتى إذا تناول المسائل الخاصة جدا في التصوف، عرّف القارئ أنه لايكتب الآن للعامة ولا لمجرد المعرفة والثقافة وإنما يكتب لأهل الله السالكين ، فمن كان منهم فليقرأ ومن لم يكن. فليترك الكتاب حتى يوفقه الله لمعرفة الطريق الصوفي ويتأهل لفهم المعارف العالية، فعل هذا في كتاب (السر الأعظم) وفي كتاب (رأيت الله).

وحين شرعت في الكتابة عن د. مصطفى محمود والتصوف أهملت جانبا مجموعة كتب الصراع العربي الإسرائيلي التي صدرت أخيراً. كي لا يدخل معي القارئ في متاهات السياسة والحروب والمجاعات والإرهاب والغزو الثقافي ، ومشاكل العالم، والدول الإسلامية... إلى آخره. لكن وجدت د. مصطفى يتناول

هذه المسائل ببصيرة المؤمن.وبما قل ودل، ويبسط أعقد المشاكل في صفحات قليلة وربما في سطور، وهو إذا كان يهاجم وينقد الأوضاع الراهنة في العالم ، فقصده في ذلك الإصلاح وإرادة الخير لجميع الخلق، حتى إنه يكتب عن الكرة الأرضية بمن عليها، من جميع الطوائف والملل، ويبصر الإخوة المسيحيين بموجات التطرف التي تسود مجتماعتهم. وانتهاء بعض هذه الطوائف المتطرفة بالانتحار الجماعي. ويطالب بمنهج علمي لمنع تلوث البيئة، ومنع الخلل الذي حدث في الغلاف الجوي ونجم عنه ثقب الأوزون. ومع أنه يوقن أن السموات والأرض في قبضة الله سبحانه وتعالى، وحمايته العظيمة، إلا أنه ينزل إلى عالم (الحكمة) ويهتم بالأخذ بالأسباب التي خلقها الله لنا، لتساعدنا على الحياة الصالحة وبأسلوب سهل ممتنع، يثير في القارئ الرغبة والتساؤل والدهشة والتفكير في نفسه وفي العالم من حوله، ويحاول إخراجه من قوقعة الحياة المحدودة والمحصورة في لقمة العيش والمهنة والأسرة والنوم، وضياع الوقت في مجالس الدنيا على المقاهي وفي النوادي والبيوت. والتي لا يتعدى الحديث فيها أخبار الناس، والقيل والقال والخوض فيما يغضب الله.

واعلم يا أخي أن معظم الأدب بأشكاله المختلفة، والمنتشر بين القراء أكثره لا فائدة ترجى منه، بل يضر القارئ ويقتل وقته، ولشهرة بعض الكتاب، انخدع القارئ بأفكارهم. فكان لابد من فضح الأكاذيب والتلفيقات والأفكار المضلة التي آمن بها الشباب نظراً لذيوع صيت الكاتب ومكانته المصنوعة عن طريق الإعلام، وقام رجال الدين بكشف الزيف والضلال الذي تنطوي عليه مؤلفات هؤلاء المبدعين، لكن القارئ لا يقتنع بكلام رجال الدين ويقول الذي يهاجم الأدب لا يفهم الأدب، لأنه ليس فنانا مبدعاً

خلاقا فإذا ظهر كاتب وأديب وطبيب وعالم موسوعى مثل د.مصطفى محمود يكتب الرواية والقصة والمسرحية ، مثل هؤلاء المبدعين، وضمّن أدبه، الحقائق الإلهية، والأخلاق الحميدة، صدّقه القارىء وقد سخّر الله تعالى د. مصطفى لذلك.

وقام بكشف الضلال، الذى بثه أدباء وعلماء الغرب فى مؤلفاتهم والذى انبهر به بعض المسلمين للأسف الشديد، مثل فكر سارتر وصمويل بيكيت وكل منهما حائز على جائزة نوبل فى الأدب، وهما من الملحدين المنكرين لوجود الله. وعالم النفس فرويد، الذى مازالت تدرس نظرياته لطلبة المدارس والجامعات، وداروين صاحب نظرية التطور. وامتد جهاد كاتبنا فى كشف الحقائق أمام القارىء إلى تناول أكبر شاعر عربى هو المتنبى بالدراسة، وتنبيه القارىء إلى شخصية المتنبى الخافية على أكثرنا، والذى ملأ الدنيا وشغل الناس،. وتناول أيضا الفن والشعر الحديث، وأمورًا كثيرة ستعرفها خلال قراءة هذا الكتاب.

لقد كنت أعرف د. مصطفى من خلال قراءتى لمؤلفاته مثل كل القراء، ولكنى أحسست أنه يتفرد ببصيرة كاشفة، أكثر من تفرده كأديب ومبدع. وحين اقتربت منه وتعرفت عليه، عرفت السر فى امتلاكه لهذه البصيرة؛ إن هذا السر يكمن فى صحبته لأهل الله العارفين، وحبه للتصوف، فإذا كان هذا حال المحب للقوم، فما بالك بالسالك والعارف والمحقق الكامل؟!

لم يكن لقائى بسيادته بقصد إجراء حوار، أو تصنيف كتاب، فقد ذهبت إليه، لتقديم الدعوة، ليكون عضوا فى هيئة كبار علماء التصوف التى يقوم عليها المركز العلمى الصوفى بالعشيرة المحمدية، كأول عمل من نوعه فى العالم الإسلامى، ودار الحديث بيننا دون إعداد سابق وعرفت أنه أخذ العهد تبركا من شيخ

نقشبندى كما ستعرف ذلك فى الحوار التالى وكان الاتفاق حين اتصلت به تليفونيا، أن يكون اللقاء مجرد دقائق ، لكثرة مشاغله ، ولكن الحديث امتد لأكثر من ساعة، وأهدانى بعض كتبه التى لم تكن عندى، وبدأت قراءته من جديد وبدأت فكرة تصنيف كتاب عنه تراودنى، فاستكملت جميع مؤلفاته وقرأتها بتأن وتعمق وتأمل، واكتشفت أنى لم أكن أعرفه حق المعرفة، مثل أغلَب القراء، رغم شهرته العريضة، وتكرر بيننا اللقاء والحوار الذى استمر أكثر من شهر، لمدة ساعة أو أكثر كل يوم . وعرفته كإنسان أكثر منه ككاتب مبدع. ولنبدأ بعرض بعض فقرات الحوار، وأعود إليه بالتفصيل حين يأتى موضعه المناسب فى فصول الكتاب. بدأ الحوار فى شقته المتواضعة والملحقة بمسجد محمود يوم الثلاثاء ٦/٥/١٩٩٧ الساعة العاشرة صباحا.

□ **كيف بدأت صلة د. مصطفى بالتصوف .. ومتى؟**

□□ بدأت بقراءة كتب العارفين بالله، أمثال ابن عربى والنفَّرى وابن عطاء الله السكندرى، وأبى حامد الغزالى، وغيرهم، ثم أخذت العهد من الشيخ محمد منذور النقشبندى فى مكة حين سافرت إلى السعودية عام ١٩٦٦ تبركا وليس سلوكا.

□ **ولماذا اخترت الطريقة النقشبندية بالذات؟**

□□ حين كنت فى مكة ، سمعت أن الشيخ محمد متولى الشعراوى أخذ العهد من الشيخ محمد منذور النقشبندى وأنه يتردد عليه، فقلت فى نفسى اذهب إلى هذا الشيخ الذى يسلك إليه أكبر داعية إسلامى فى مصر، ورأيت الشيخ الشعراوى عنده، لكنى غير متأكد هل أخذ العهد منه أم لا؟ ولم أسأل عن ذلك، ووجدت الطريقة النقشبندية تناسبنى ، حيث أن مدارها على الذكر القلبى وأورادها وأحزابها قليلة، وأنا مشاغلى الدنيوية كثيرة جدا

وكـانت مدة صـحبـتى للشـيخ محـمـد منذور ست سنوات، كنت أزوره فى مكة من وقت لآخر.

□ هل قابلتك عقبـات وقواطع السلوك المعروفة فى الطريق الصوفى؟

□□ العقبة الكبرى، هى نفسى وشهواتها، وجهاد هذه الشهوات وهو الجهـاد الأكبر، مـرة تغلبنى ومرة أغلبـها، ومـازلت أجاهدها حـتى الآن، أما مـا يتـحـدث عنه أهل الطريق من قـواطـــع الجن والشياطين فأنا لم أتعرض لها.

□ مـعـروف أن بدايـات السلوك تكون دائمـا مـصـحـوبة بفتوحات وفيوضات ربانية، لتشويق المريد إلى الاستمرار فى السلوك حتى أن ابن عربى خصص بابا فى الفتوحات بعنوان (حنين العـارف إلى بدايـتـه) رغم وصـول العـارف إلى أعلى المقامات، فماذا كان نصيب د. مصطفى من هذا العطاء الإلهى؟

□□ أنا أخذت الطريـق تبركا وليس سلوكـا ، ولا أتكلم عن هذه المرحلة من حياتى، ولا أذكر تفاصـيلها. وكل ما يمكن أن أقوله لك إننى وصلت إلى حالة، كدت أعتزل الحياة، وأدخل الخلوة، وأكتفى بنشاط دنيوى محدود أرتزق منه، ولكن الله أغلق هذا الباب لحكمة أرادها، ومارست حياتى العادية، وأدركت أن الله أراد لى أن أكون كـاتبا وأعـيش بين الناس، وكـما قلت أنت: مـقـامك حيث أقـامك، وحيـاتى كـما تراها هى مـقامى الذى أقـامنى الله فيـه وأنا راض بذلك. وأكرمنى الله ببعض المبشرات الصادقة.

حاولت بطريقة غـير مباشرة أن أعـرف، هل فتح الله عليه بتذوق الخـواطر والتفـريق بينها، وهى أربعـة: خاطر ربانى، وملكى ونفسى وشيطانى فسألته:

□ ذكرتَ أنك رأيتَ رواية العنكبوت بين اليقظة والنوم، على

شاكلة واقعات الصـوفية، فهل هذه الواقعة نتـيجة إلقاء إلهى أو ملكى أو نفسى أو شيطانى؟

□□ يجـوز أن تكون الرواية نتيـجـة إلقاء ملكى ، أو نفـسـى أو شيطانى أنا لا أعرف بالضبط، والغالب أنها إلقاء نفسى.

□هل لك صلة بالطرق الـصوفـية فـى مصـر؟ وهل ترضى وتقبل ما يحدث فيها؟

□□ ليس لى أى صلـة بالطرق الصـوفـيـة فـى مـصـر، ولكن يعجـبنى فكر الطريقة العـزمية، وأشـعار الإمـام أبى العزايم، وأنا لا أرضى عن الكثير مـما يحدث فى الطرق الصوفية، وأنت تعرف ماذا أقصـد، ولكن بعض الطرق تسير على منهج مسـتقيم، وليس لى مآخـذ عليها ، مثـل الطريقة التفتـازانية وكنت أعرف الدكـتور أبو الوفا الـتفتـازانى وهو عالم وعـارف كبـير، وملتزم بـالكتاب والسنة.

□ بعد معـرفتك بالطريقة المحمـدية، وشيخنا الإمام مـحمد زكى إبراهيم، ما رأيك فى مؤلفاته وطريقته؟

□□ أنا أقرأ الآن كتـاب الفروع الخلافية، وهو كتـاب مهم جداً، أما عن الشيخ فهو عارف بالله كبير، ومن أنا حتى أتكلم عنه وعن طريقته؟!

□ أنت تذكـر أن أعظم كـتـاب فـى التـصـوف هو كـتـاب الفتوحات المكية لابن عـربي، فما هى الكتب الأخرى التى ترى أنها فى مستوى هذا الكتاب؟ وماهى أصح نسخ الفتوحات فى نظرك؟

□□ كتـاب المواقف والمخاطبات للنـفَّرى، وأنا أضعـه فى المرتبة قبل كـتاب الفـتوحات المكيـة، فابن عربى بحـره واسـع يغرق فـيه القارىء، أمواجه متلاطمـة، تأخذه الأحوال والجذبات الروحية فى

كتاباته أحيانا، وأحيانا يغيب عن روحه ويسرح فى مواجيد ومفاهيم صوفية صعبة الفهم، وأنا قرأت نسخة الفتوحات المكونة من أربعة مجلدات، والنسخة التى حققها د. عثمان يحيى (والتى لم تكمل بعد) وأصح النسخ عندى، النسخة المحققة.

□ ما دمنا ذكرنا النفّرى وابن عربى فما رأيك فى القول بوحدة الوجود؟

□□ القول بوحدة الوجود ضلال ما بعده ضلال، والصوفية المسلمون يقولون بوحدة الشهود،. وينزهون الله تعالى عن الحلول والاتحاد، أما مذهب وحدة الوجود، وأن الخالق هو المخلوق ، والله هو الكون فهو مذهب باطل يقول به فلاسفة الهنود البراهمة والبوذيون وغيرهم من أصحاب هذا المذهب المضل.

□ ما هى الكتب التى ألفتها فى التصوف الخالص؟

□□ الكتب التى ألفتها وتختص بالتصوف ، هى كتاب رأيت الله، والسر الأعظم، والوجود والعدم، وعظماء الدنيا وعظماء الآخرة، وزيارة للجنة والنار.

□ مسرحية زيارة للجنة والنار، أثارت جدلا كثيرا من بعض الكتاب خصوصا حول ذكر بعض الفنانات وأنهن فى الجنة؟

□□ الذى أثار هذه الضجة والاتهامات المغلوطة، هم الكتاب الذين مازالوا يعتنقون بقايا الفكر الماركسى. وضايقهم جدا أننى أقعدت ماركس على خازوق من نار (فى المسرحية) وأنا أهدف بذكرى بعض الفنانات وأنهن فى الجنة، أن باب التوبة مفتوح، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها، فأنا أردت الترغيب فى التوبة.

□ هل يمكن أن أقول إنك رأيت الجنة والنار فى واقعة روحية مثلما حدث لابن عربى وعبد الكريم الجبلى وغيرهما

من العارفين بالله؟

□□ لا .. أنا لم أصل إلى هذه الدرجة، والمسرحية مجرد خيال وإبداع فني، لا أكثر.

□ أنا أرى في كتاباتك، قبل صحبتك للصوفية روح التصوف، فرواية المستحيل التى ألفتها عام ١٩٦٠م بها نبرة صوفية وأغلب مؤلفاتك تدور حول التصوف فهل نبالغ إذا قلنا إن د. مصطفى محمود رائد الأدب الصوفي المعاصر؟ وهل ترى الآن على الساحة الأدبية إبداعًا (أدبا صوفيا) على شاكلة ما أبدعه فريد الدين العطار فى (منطق الطير) وجلال الدين الرومى فى (المثنوى) وأبو حامد الغزالى فى (رسالة الطير) أقصد الشكل الروائى أو القصصى الذى يحمل فى طيه مضمونًا صوفيا؟

□□ لا تقل إننى رائد الأدب الصوفى المعاصر، فلا يوجد أصلا أدب صوفى معاصر، حتى أكون أنا رائده، ويمكن القول بأن كتاباتى بها نبرة صوفية لا أكثر، وكل الذين ذكرتهم قمم شامخة من كبار العارفين بالله، لايتطاول أحد من المنشغلين بإبداع الرواية والقصة القصيرة إلى مرتبتهم. أما عن وجود روح التصوف فى كتاباتى قبل صحبتى للصوفية، فهذا نتيجة وجود الاستعداد الذى وضعه الله تعالى فى قلبى وهو حب الصوفية، ومحاولة معرفة النفس ومعرفة الله.

□ العارفون بالله ، الذين تأثرت بهم فى حياتك وكتاباتك من هم؟

□□ تأثرت كثيرا بالنفَّرى°وكتابه المواقف والمخاطبات، وابن عربى وكتابه الفتوحات، وابن عطاء الله السكندرى، وأنا أعتبر هؤلاء الثلاثة هم شيوخى المستورون، حالة يمكن تسميها

(الوجدنة الروحية) وكذلك تأثرت بالإمام أبى حامد الغزالى وكتابه الإحياء، وابن مكزون السنجارى وهو صوفى شيعى معتدل، وليس من طوائف الشيعة المتطرفين، وله كتاب عظيم فى السلوك الصوفى، لا أتذكر اسمه الآن.

□ ما هو رأيك فى كتب التصوف المعاصر التى تذكر القطب الغوث والإمامين والأوتاد والأبدال وأصحاب التصريف فى الكون مثل كتاب (الحكومة الباطنية) للدكتور حسن الشرقاوى، وغيره من هذه النوعية؟

□□ أنا ضد هذا النوع من الكتب، فالكتابة عن هؤلاء الأولياء لايجوز أن يقوم بها إلا من شاهدهم عيانا، أو هم أنفسهم يكتبون ذلك، أما أن نكتب عنهم نتيجة عن وجود ذكرهم فى كتب التصوف، فأنا أرفض ذلك. وكتاب «الحكومة الباطنية» مختلف فيه.

أنا فى عرضك، كفاية نغيِّب وعى الناس، وندفعهم للكسل والخمول وإذا قلنا إن الأولياء يقومون بتصريف الكون، فماذا تكون النتيجة؟ زيادة تبلد واستكانة، المسلمين مش ناقصين، ومش عايزين نعيشهم فى الأوهام أكثر من كده، لقد فقدوا وعيهم بما يكفى وأصبحوا مثلاً سيئاً للأمم ونكبة كبيرة.

□ ألا ترى أن أى كتاب من كتب الإبداع الأدبى، لا يفيد القارئ فى تغيير نفسه إلى الأفضل ولا يدفعه إلى التخلق بالأخلاق الحميدة والتقرب إلى الله تعالى ، تعتبر قراءته ضياع وقت، وضررًا كبيرا للقارئ؟

□□ أنا معك فى هذا الرأى ، والفنون بكل أنواعها تنقسم إلى قسمين: قسم نطلق عليه (فن قتل الوقت)، وهو ما تحدثت عنه، ولا ينسحب هذا الكلام على الكتاب فقط، بل على أى فن ، والقسم

الثـانى هو فنون إحيـاء الوقت التى تبث فى الإنسـان الرغبـة فى جهـاد نفسه، ومعـرفتها وتغـيير باطنه إلى الأحـسن والسعى فى مرضاة الله.

□ فـهل يجب على كل كـاتب مبـدع أن يسلك طريق التـدين الصوفي حـتى يكون على دراية بمصدر إلهـامه، ولا يكون آلة لبث الأفكار الشيطانية وهو لايدرى؟

□□ إذا قلنا بذلك، فلن يـكتب أحد من المبـدعين، فـسلوك طريق التصـوف صعب جـدا، وهو لخاصـة الخاصـة، ولكن يكفى تدين الكاتب وإيمانه الإيمان الصـادق النابع من القلب، الإيمان هو جـذر الموضـوع وأصله، والتـصوف زهـرة أو ثمرة التـدين الإسـلامى الصحـيح المعتـدل، أما بُعـد الكاتب عن الدين والإيمان، فيـمكن أن يؤدى إلى أن يكون آلة لبث الأفكار الشيطـانية كما قلت، ومـا أكثر هذه النوعية من الكتاب.

□ مـاذا يمثل التـصـوف فى حيـاة وكـتـابات د. مـصطفى محمود؟

□□ التصوف هو مشربى.

لكنى لا أضع نفـسى فى عـداد الصـوفـيـة ولست من رجـال التصوف، ولا أحسب أنى وصلت للكـمال النفسى الذى يصل إليه السـالك ولا أمتلك الكمـالات القلبـية والروحـيـة التى يصل إليهـا العارفون بالله.

أنا مجرد محب للتصوف والصوفية، وقارىء لمؤلفات العارفين بالله، فـلا تكتب عنى كنمـوذج للولى المحقق السـالك، فأنا عـاشق للتصوف ، وليس أكثر من ذلك.

□ كل العـارفين يرون فى أنفسـهم النقص، ولم يقل عـارف بالله أنه بلغ درجة الكمال أبدًا إلا فى حالات الشطح الصوفى.

□□ هم يقولون ذلك من باب التواضع، ولكن أنا لم أسلك مثلهم كما ذكرت لك، هؤلاء ناس أصحاب منازلات ومنازل، وعروج روحي، وكشوفات، وواقعات، ومسامرات، ومواقف ومخاطبات، وفناء في حضرات الأسماء الإلهية، وعلوم لدنية، إلى آخر ما تعرفه وتحدثنا عنه، وأنا لم يحدث لى ذلك لكن تأثرت بهؤلاء العارفين.

□ من المعروف أن كل من ينتسب إلى الطريق الصوفى يكون له نصيب من الابتلاء ، وأذى الناس له، وهذا فضل إلهى ونعمة عظمى عند القوم. كي يتخلص السالك من الركون إلى غير الله ولا يكون له إلا وجهة واحدة وهى معرفة الله، فماذا كان نصيبك من هذا العطاء الإلهى؟

□□ ابتلائى يتمثل فى المرض الجسدى الذى لازمنى فترات طويلة من حياتى وأحمد الله على ذلك، أما عن أذى الناس، فيتمثل فى هجوم الكتاب علىّ، فقد حاول كتاب اليسار والشيوعية، وكذلك كتاب السلفية والأصولية (هم يسمون أنفسهم هكذا) رفضى وإسقاطى ككاتب وأديب ومفكر.

(ويقول ضاحكا بطريقته المعهودة والطريفة) فى بداية كتاباتى وميلى للفكر المادى، جعل كتاب اليسار منى زعيما عظيما، وكاتبا نادرا، تشيكوف العصر، وكتبوا عنى فى مجلة الرسالة عدة مقالات يشيدون بإبداعى وموهبتى، والغريب أنه أثناء هذه الفترة. حين ألفت كتاب الله والإنسان والذى صادرته الحكومة، قال بعضهم لأحد زعماء اليسار: أنت مخدوع فى مصطفى محمود، وسوف يخذلنا عن قريب، سوف تراه بعد أيام يجلس على رصيف السيدة زينب مثل الدراويش الهبل (لابس شوال) وقاعد يتسول ، أنا ألمس ذلك فى كتاباته. وصدقت نبوءة صاحبنا ولكن

ليس بالطريقة التى ذكرها. وحين تنكرت للفكر المادى، انهالت الاتهامات علىَّ من الشيوعيين، حتى أن أحد كبارهم كتب مقالاً فى جريدة الجمهورية، يطالب بوقفى عن الكتابة، قال: يجب منع مصطفى محمود من الكتابة مطلقا؛ لأن كتاباته ومقالاته تحض الناس على الانتحار، وهو كلام ساذج ومضحك لأنه لا يستند لأى دليل وحين ألفت كتاب (القرآن.. محاولة لفهم عصرى) اشتعلت نار الهجوم من الأصوليين، وقامت د. بنت الشاطئ بمجهود كبير فى هذا الشأن، فكتبت أربعمائة مقال تهاجمنى وتوجت هذا الهجوم بكتاب (المفسر العصرى) وربما لا تعرف إنها هى التى اختارت عنوان الكتاب حيث حدثتها عن فكرته، وصودر الكتاب ولكن د. عبد العزيز كامل وزير الأوقاف ود. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر تطوعا ـ أكرمهما الله ـ بالدفاع عنى، وقالا: لا مانع من طرح الكتاب فى المكتبات ود. عبد العزيز كامل من الإخوان المسلمين، ود. عبد الحليم محمود من الصوفية.

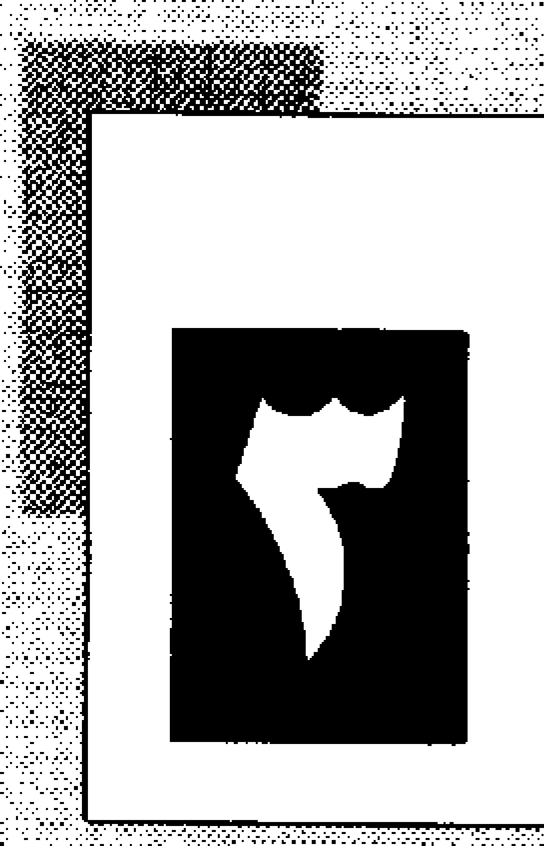
●●●

مازال الهجوم يلاحق د. مصطفى محمود حتى الآن، وستعرف خلال الفصول التالية، الكثير عن حياة كاتبنا، والجوانب الخفية فى شخصيته وكيف بدأ برنامج العلم والإيمان، وكيف يكتب مجموعته الأخيرة من المؤلفات (مجموعة الصراع العربى الإسرائيلى) والحوار معه طويل، ولذلك وجدنا أنه من الأنسب عرضه فى موضعه من الكتاب.

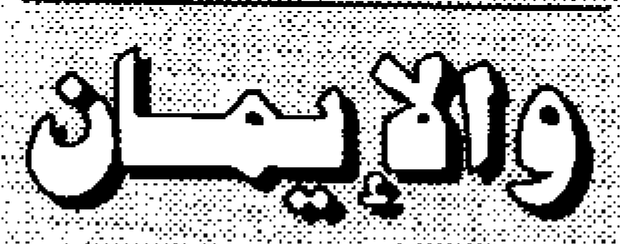


د. مصطفى محمود

والتصـــوف









مـمّا يحزن القلب ويـؤلم النفس، أن نرى أصحاب العطاء الإلهى والهـبات الربانية، فى حـيرة وتعـاسة وشقـاء وقلق وضياع، ولا نقـصد بذلك أهل الله، بل نقـصد كل صـاحب مـوهبـة إبداعيـة من أهل الأدب والفن. ونُخـرج مـنهم من اندس بينهـم، وليس عنده موهبتهم، فهذا لا يعانى معاناتهم.

وقد بحث المفكرون قـديما وحديثـا فيمـا يسمى بسيكولوجـية الإبداع ومـاهيـة الإبداع، وأخطأ كل من تعـرض لهـذا الموضـوع بإهمـاله بعـالم الغـيب فـردّه إلى أسـبـاب وهمـيـة، وعلل نظرية وفروض فكرية، وتخـمينات ملأت مجلدات، وهذه عـادة كل مفكر أسقط عالم الغيب من حسابه وغفل عن سر الإنسان الصغير الذى هو نســخـة من الإنســان الكبـيـر (الـعـالم الظاهر والـبـاطن).

ود.مصطفى محمود أحـد المبدعين. والرجل أكرمه الله، زيادة على ماهو فيـه، لم يعلن عن حقيقـة نفسه، وانتسابه لأهـل الله، فجهل حقـيقـته كل من كـتبوا عنه، ولـم يعرفوا السـر الذى يكمن وراء بساطته وعفويته وسـهولة فهم عـبارته ومضمون أعماله الإبداعية، وحب الناس له، الصغير منهم والكبير، حتى أصبح قدوة لكثير من أولادنا، وشبابنا الصادقين، ونجـا من الفخ الذى ينصبه الشيطان

لكل صاحب موهبة إبداعية، فيضله عن سبيل الله، وأهل الإبداع أكثر الناس تعرضا لنفث الشيطان، وذلك لفطرتهم النفسية وحبهم للتأمل والتهاب خيالهم وهيمانهم فى عوالم وهمية. فالمبدع يكاد أن يكون برزخًا بين العالم المحسوس وعالم الخيال، وهو العالم الذى يجول فيه الشيطان ويصول، وكذلك الملائكة، وعالم الخيال له شأن كبير عند الصوفية.

ورغم ما يعيشه المبدع من حياة الشهرة والصيت والذيوع والنجومية إلا أن فطرته الإبداعية تجعله يعيش فى جحيم وعذاب أليم، والغريب أن المبدعين يستمرئون هذا العذاب، وذلك من وسوسة الشيطان وهواجس النفس التى لذتها الشهرة بين الناس. فينصت المبدع إلى الإلقاء النفسى الشيطانى فى قلبه: الفنان لا بد أن يكون قلقا، هذا عذاب الموهبة، وثمرة التفكير والتأمل، أنت إنسان متفرد ، ومتميز لست كسائر الناس، أنت تعيش فى عالم المعانى السامية والناس تعيش فى عالم المبانى السافلة، ولايدرى الفنان البائس المسكين أنه غارق فى العالم المادى، وما يظنه تجليات روحانية، إن هى إلا ظلمات كونية، فعالم المعانى أمره خطير وشأنه كبير، فهو عالم نورانى متوحد ليس فيه تضاد ولا تشاجر ولا يعرف هذا العالم ولا يصل إليه إلا العارفون المحققون من أهل الله.

وأنا ـ كاتب هذه السطور ـ عانيت هذه المعاناة، واكتويت بنار هذا العذاب حين اشتغلت فى فترة من حياتى بكتابة القصة وعزف الكمان وقراءة روايات العبث واللامعقول والفلسفة والشعر، وكنت أشعر بالقلق الرهيب ، وأبكى بحرقة حين أستمع إلى السيمفونية الثانية لألكسندر بورودين عالم الكيمياء والموسيقى الروسى

العـالمى، وأشعـر برهبة وخـوف حين أسـتمع إلى السـيمـفونيـة الخامسة لـبيتهوفن (القدر) وسكون وصـمت داخلى حين أستمع إلى سيمفونيته السادسـة الريفية (الباستورال) وكنت أشكو حالى لأهل الإبداع فيقولون لى: هذا تطهـير للروح (وهل الروح تحتاج إلى تطهيـر؟) ما أنت فيـه هو عين الصواب، هذا القلق عـلامة على صـحتك النفسيـة، هذه حمى الأدب، أتريد أن تكون جماداً لا يحس ولا يشعر؟! ثم عرفت أخيـرا، حين تعرفت إلى رجال التصوف، أن كل هذه الأحـاسـيس والمتـاعب، نتـيجـة مـرض نفـسى وهيـمنة شيطانية على قلبى. فالأوزان الموسيـقية والسلم الموسيقى، يحرك فى الإنسان الطبـيعة العنصرية الأرضـية. وليس لذلك أدنى صلة بالروح، ويرتبط هذا الأمر بحركـات الأفلاك وتأثيرها فى الأماكن المختلـفة من الكرة الأرضـية (الأوطان) ولذلك تخـتلف موسـيقى الشعوب. وهذا ظاهر لنا جميعا، فـالموسيقى الهندية غير المصرية، غيـر السودانيـة، وعرفت أن الجن والشـياطين يعـشقـون الأنغام والإيقاعات العنيفة، والاهتزاز والرقص، ذكر هذا الكلام من سمعه من الجن أنفـسهم وهو العارف باللـه محمـد الحريرى فى كـتابه (الروح وماهيـتها) وعرفت أن الوارد الشـيطانى على القلب يجعل الإنســان فى حـالة قلق وتخـبط وسـأم وملل وخـمـول ونشـاط وأحوال مـتضاربة وغريـبة، وهو ما يحسـبه المبدع عـذاب الموهبة ويمكن للأرواح الناريـة وهى الجن والشـيـاطين أن تلقى فى روع الإنسان رواية أو قـصة أو قـصيدة وأمـورا أخرى كـثيرة تـتعلق بالإبداع، عرفـتهـا من أهل الله العارفين وخـبرتها فى نـفسى عن تجربة يقينية لا أشك فيهـا. وأقول هذا الكلام للمبدعين رحمة بهم وشفقة عليهم، كى يتـجهوا إلى الله، فهناك الإلقاء الملكى والربانى.

وهو أمر محمود وعظيم، ولو تمكن منه المبدع، لكان له شأن كبير فى إصلاح العالم.

استطاع د. مصطفى محمود أن يخرج من هذه الدائرة الملعونة، وهى عذاب الموهبة إلى حد ما، وليس خروجا كاملا، بدخوله إلى دائرة الإيمان وحبه للصوفية والتصوف، وسلوكه القليل كما يقول هو عن نفسه والتمسك بالكتاب والسنة، وتوحيد الله الذوقى القلبى، وليس النطق اللسانى، توحيد الشهود اليقينى وسلوك الطريق المستقيم دون شطط أو مبالغة.

المبـــدعون :

د. مصطفى محمود شديد الولع والإعجاب بمؤلفات ابن عربى، ويعتمد فى كتاباته كثيرا على معارف هذا المحقق الكبير، وابن عربى خرج إلينا من منازلاته الروحية بعلوم الأسماء الإلهية وتجلياتها فى الكون وقال: إن الذات الإلهية هى الغيب المطلق الذى لا يعلمه ولا يعرفه رسول ولا نبى ولا ولى؛ لأن معرفة كنه الله تقتضى المجانسة ولا مجانسة بين الله وبين العالم؛ فالعلم بكنه الذات الإلهية هو الجهل بها كما قال سيدنا أبو بكر (رضى الله عنه).

العجز عن درك الإدراك إدراك :

فلا يدرك العارف إلا أثر أسماء الله وأفعاله وصفاته المتجلية فى الكون، فإذا جئنا إلى الإنسان وجدنا أن كل شخص يتولاه اسم إلهى والله تعالى مولى الكل. ويقول د. مصطفى محمود إن كل إنسان هو الذى اختار هذا الاسم الإلهى بمحض إرادته ولم يجبره الله تعالى على هذا الاختيار، وهذا حدث فى حضرة الأعيان الثابتة قبل وجود الخلق؛ فالإنسان الذى حاد عن الصراط المستقيم

وهو تحت تأثير الاسم «الضال» والإنسان الذليل تحت تأثير الاسم «المذل»، والمهتدى تحت تأثير الاسم «الهادى»، وعلى هذا النحو تكون بقية الأسماء الإلهية إلى أن يأتى إلى الكاتب المبدع فيقول أنه تحت تأثير أسماء الله (البديع، الخالق، الحكيم ، العليم) ونحن نختلف قليلا مع د. مصطفى محمود فيما ذهب إليه؛ فمعنى البديع أن الله أبدع العالم على غير مثال سابق، ولابد أن يكون للاسم الإلهى أثر مناسب لمعناه فى الممكن القابل لتأثيره، وهو هنا الكاتب المبدع، وهذا غير وارد فى مسألة الإبداع؛ فالمبدع يرسم صورة لظل صورة أخرى، فهو ينقل لا يبدع . وقد ذكر د.مصطفى محمود هذا المفهوم فى كتاب الوجود والعدم ص ٧٨ حيث قال: « الله تعالى يخلق على غير مثال سابق بينما الكل من الخالقين، من البشر، يخلق من نموذج أو تعليم أو فكرة مستوحاة، ويخلق من مادة مخلوقة سلفًا». وصفات المخلوق من كونه مبدعا وخالقا، وغنيا، وكريما إلى آخره صفات مجازية من الله. ولا مقارنة بينها وبين صفات الله بأى وجه. ولكننا جريا مع هذا اللفظ المتعارف عليه (المبدع) سنذكره فى كتابنا ، فنقول إن الكاتب الفنان إنسان مبدع، والغريب أن الفيلسوف اليونانى أفلاطون فطن إلى هذه المسألة وقال: إن الكون الظاهر لنا، هو ظل لعالم المثال الحقيقى، فهو خيال وليس حقيقة، والأديب والكاتب المسرحى (وقد كان أكثر الأدب فى عصره مسرحيات) يصور هذا الظل الخيالى فيأتى فى عمله الأدبى بظل ثالث ونظرية و(كهف أفلاطون) مشهورة بين الفلاسفة والمفكرين، وقد خالفه الصواب إلى حد ما فيما ذهب إليه؛ فالكون خيال وحق فى آن واحد، خيال إذا جرّدناه عن الإمداد الإلهى الوجودى ، وحق إذا استند إلى خالقه.

ونعود إلى د. مصطفى محمود ، وكلامه عن الأسماء الإلهية، وصلتها بالابداع، فنقول ليس كل المبدعين تحت تأثير الاسم الحكيم، بل القلة القليلة منهم هم الذين يستمدون من هذا الاسم. فالحكمة هى المعرفة الحقيقية الكاملة، ووزن الأمور بالميزان الإلهى الشرعى قال تعالى : ﴿ ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ ولا نظن أن المبدعين من أهل الحكمة إلا فى النادر جدا كما ذكرنا من قبل، والعلم الكامل الحقيقى هو معرفة الحقائق الظاهرة والباطنة وأغلب المبدعين ينطبق عليهم قول الحق تعالى: ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ ومن لا يخشى الله فليس بعالم ولا حكيم بل هو صاحب صنعة علمية أو أدبية، والدكتور مصطفى يقول عن سارتر وهو مبدع: إنه مفكر سطحى يقول بأننا قد ألقى بنا إلى العالم بدون عون وقذفنا إلى الوجود بلا عناية ولا رعاية (الشيطان يحكم ص١٧٢). فهذا الكاتب إذن تحت تأثير الإسم الضال وأظن د. مصطفى معى فيما أقول، فسارتر ونيتشه وماركس ومن على شاكلتهم كل ابداعهم يطفح بالإلحاد والضلال والعبث وبث الإحساس بالضياع والغثيان والسأم والاكتئاب ثم الانتحار فى النهاية، فى نفوس الشباب، وقد قال د. مصطفى بهذا القول فى أكثر من كتاب.

وهناك مبدعون رغم أنهم ساروا فى سبل أخرى، قال تعالى: ﴿ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ «الأنعام – ١٥٣» والله أعلم بنياتهم وأدرى بحالهم، إلا أنك لا تملك إلا التعاطف معهم، وتتألم من أجلهم. وليس من المصادفة أن يتأثر بهم د. مصطفى محمود، ونحن ضد من قال من النقاد أن د. مصطفى تأثر بسارتر وألبير كامى،

وفوكنر. وقد سألته فى هذا فأجاب: تأثرت بصياغتهم الأدبية، وتكنيكهم الفنى وليس بفكرهم والذى تأثر بهم د. مصطفى محمود ومعه الحق فى ذلك:

تولستوى : الكاتب الروسى الزاهد، الذى عاش حياة كلها مأساة ومعاناه طيبة، كان يتطلع إلى تحقيق السلام ونشر العدل بين الناس، وكان قلبه مفعما بالرحمة والشفقة على عباد الله، كان ثريا وصاحب أراض زراعية واسعة، فخرج عنها ووزعها على الفلاحين الفقراء، وعاش فى كوخ واتهمه أهله بالجنون ومات وحيدا بائسا.

وكان تولستوى مبهورا بالرسول ﷺ وكان يقول: «لا يوجد نبى حظى باحترام أعدائه سوى محمد ﷺ . لقد هدى مئات الملايين إلى نور الحق وقام بعمل لا يقوم به شخص إلا من أوتى قوة وإلهاما وعونا من السماء».

تشيكوف: رائد القصة القصيرة ، والطبيب الذى ابتلاه الله بداء الدرن الرئوى والذى كان يدعو فى كتاباته إلى الصدق وعدم الرياء، والعفة وسمو الهدف.، وعلو الهمة. كما تأثر د. مصطفى بدستوفكسى وجوركى وأكثر الكتاب الروس.

ونذكر الكاتب اليونانى نيكوس كازنتزاكى صاحب روايات. زوربا اليونانى، والمسيح يصلب من جديد، كان أستاذا فى القانون واشتغل بالمحاماة، وعاش يبحث عن الحقيقة، فاعتزل فى دير للرهبان لمدة عامين وخرج منه أكثر حيرة وشكا واضطرابا، وكتب رواية المسيح يصلب من جديد، وسخر وتهكم من بعض الرهبان والقساوسة وكشف بواطنهم القبيحة، مما جعل رجال الكنيسة يتهمونه بالضلال، ودفنوه ولم يُصَلُّوا عليه.

بدر شاكر السيَّاب: الشاعر العـراقى العالمى العظيم (١٩٢٦-١٩٦٤) والذى أعجب به د. مـصطفى محمود، وخصـوصا ديوانه (أنشودة المطر) والذى مـات شابا فى الثامنة والثلاثين مـن عمره، وعاش مـريضا فقـيرا، ونذكر طرفـا من كلامه عن نفـسه، لنؤيد فكرتنا التى نقول بهـا، وهى أن المبدع إذا لم يتجـه إلى الله ويلجأ إليه ، ويسلك طريقه المستقـيم، بعزيمة وقوة حتى يكون له نصيب من التجليات الصوفية، فإنه يعـيش فى مأساة لا مخرج منها. كان بدر شاكر السيَّاب يصوم ويصلى، ولكنه لم يجعل حياته كلها لله، وهذا سر عذابه وعذاب كل مبدع.

يقـول: أنا أشقى إنـسان على الأرض، لقـد نذرت نفـسى للألم والشقاء واليـأس والفناء، هناك عند السدرة النائمة قبر مـستوحد غريب رأيت أنى راقد فيـه تحت الحصى والتراب. فى الموت راحة، وقد قدِّر لى ألا أرى هذه الراحة، بل أجتاز محناً بعد محن.

وعن الأسرة والزواج يقول: إن المشاغل والمشاكل تفترس وقت المتزوج وقـد عاقتنى عن الكـتابة،مر عـام بأكمله لم أكتب فـيه إلا قصيـدتين ، بماذا أتحدث؟ أعن حياتى المنزلية وصـياح أطفالى؟ إن الجو العائلى الذى أعيش فيه هو السـبب فى جفاف ينبوع الشعر، إننى مفلس حاليـا إفلاسًا شديدًا مسـتعصيًا. قـاتل الله الشعر إنه لا يشبع من جوع ولا يكسو من عرى، أنا طريح الفراش فى لندن وقد جاء العيد وليس هناك فى العـراق من يشترى ملابس جديدة لأطفالى، إن راتب أمهم لايكفى لأكثر من إطعامهم.

ولما أصابه المرض أخـذ يجأر بالشكوى لأصدقـائه المبدعين: أنا فى أتعس حـال ساعـدونى، وإلا فـإنى مهـدد بالشلل الكلى بعـد بضعـة شهـور. بائس أنا، شقى غـاية الشقاء لا أقـدر على المشى

ولا حتى على الوقوف. لست متشائما ما زالت فى الحياة أشياء جميلة: الشعر، والقصة، وتذكر الماضى، لكن أصبحت عاجزا، إما أن أمشى كما يمشى الناس، وإما الشقاء الذى لابد أن يؤدى إلى الانتحار، فالموت خير من حياة الكسيح، والمرض لئيم، وأنتظر الفرج ولا فرج، إننى منكوب. سألت الطبيب عما إذا لم يكن شرب الويسكى.... إلخ مضراً لى وأنتظر جوابه، إن سمح لى بالشرب سأشرب.

لا أكتب الآن إلا شعرا ذاتيا، لم أعد ملتزما، ماذا جنيت من الالتزام؟ المرض والفقر؟ لعلى أعيش آخر أيام حياتى. لم أعد أخاف الموت، لقد عشت طويلا، صاحبت (عوليس) فى ضياعه [رواية كتبها جيمس جويس وترجمها أحد أساتذة الجامعات فى عشرين سنة] وعشت التاريخ العربى كله، ألا يكفى هذا؟ لولا (حماسة أبى تمام) وديوان ابن الرومى لكنت فى جحيم من السأم والملل» ا.هـ[1].

هذه يا أخى حياة أحد كبار الشعراء العرب والتى ترجمت قصائده إلى الفرنسية والانجليزية والإيطالية، عاش بائساً مريضا يشكو إلى الناس، ولا غرابة فى أن يحبه مصطفى محمود. وقد اخترنا هذا الشاعر للشبه الكبير بين حياته وحياة كاتبنا الظاهرة، أما الفرق الباطنى فكبير. لقد كان هذا الشاعر شيوعيا فى بداية حياته، وكتب السيّاب مجموعة مقالات بعنوان (كنت شيوعيا) نشرت فى جريدة (الحرية) ببغداد وترجمت إلى الفرنسية، وجمعها فى كتاب لم يصدر لظروف غير معروفة، ثم كتب سلسلة مقالات طويلة ضد الشيوعية أحدثت ضجة كبرى فى العراق،

(١) رسائل السياب . ماجد السامرائى ط المؤسسة العربية للدراسات، بيروت ١٩٩٧.

وأصيب بالمرض وندعو له بـالرحمة والمغفرة فـيكفى ما عاناه من شقـاء، ولكن الفرق بينه وبين مـصطفى محمـود، أن كاتبنا اعتـبر المرض نعمة من الله ولم يشك إلا إلى الله، وأنه استقى معرفته من معين الكتـاب والسنة وكتب العـارفين بالله، بينما انبـهر السـياب وتـأثر وأخذ معارفه من قـصائد شللى، ولامارتين، وبابلو نيرودا وأراجون وت. س أليوت وروايات هيـمنجواى ود.هـ لورانس وإن كان د. مصطفى قرأ كل الآداب الغـربية إلا أنه قرأها ونقدها وبيّن فيها ما الصالح والفاسد.

وهذا هو الفـرق بين المبدع الذى لـه حظ من التدين الصـوفى، والمبـدع الذى حظه التـشتت فى أوحـال الدنيـا، رغم تدينه، وهذا ما نود توضيحه للمبدعين خاصة.

ونريدك أيها الـقارئ وأيها المبـدع، أن تعرف ضـرورة التزام المبدع بالكتاب والسنة وإلا فالإبداع وسيلة لبث المفاهيم الشيطانية ولو كان أشهر مبدع فى التاريخ.

يقول د. مـصطفى محـمود فى كـتابه عـالم الأسرار (ص ٤٠ وما بعدها) عن المتنبى:

المتنبى لا يختلف إثنان على عظمته وهو الذى يقول عن نفسه:

مـا مـقـامى بأرض نخـلـة إلا ... كـمـقـام المسـيح بين اليـهـود

ويقول:

أنا فى أمـــة تداركـــهـا الـلــه ... غـــريب كـصـــالح فى ثـمـود

ولذلك قالوا عنه أنه متنبى

ومدح ابن زريق فقال :

يا من نلوذ مـن الزمـان بظـله ... ابدا ونطـرد بـاسـمـه إبليـسـا

وقال فى ابن إسحق التنوخى:

فما ترزق الأقدارُ ما أنت حارم ولا تحرم الأقدار من أنت رازق

وقال فى المغيب بن بشر:

وأعطيت الذى لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

مدح يصل إلى درجة التبذل والتسول.

نحن أمام عظيم من عظماء الفن بلا جدال ورجل لا خلاق له؛ يقول على بن حمزة: نزل عندى المتنبى فلم أره يصلى أو يصوم أو يتلو قرآنا.

هذا هو المتنبى أشعر شعراء العرب، فما حظه من الآخرة؟ وسارتر وكامى وموليير وفاجنر ونابليون وهتلر وستالين وماركس ونيتشه وهيجل وغيرهم وغيرهم من عظماء وأكابر الدنيا، أين هم الآن وما مصيرهم فى الآخرة؟.

القرآن فى ذلك صريح. يقول الله لنبيه : ﴿وإنك لعلك خلق عظيم﴾ لايقول له وإنك لعلى علم عظيم أو على فن عظيم أو على قوة عظيمة أو ثراء أو عبقرية، بل على خلق عظيم وحسب.

ويقول مصطفى محمود فى الموضوع الذى نتكلم عنه وهو الإبداع. فى كتاب (المؤامرة الكبرى ص ١١٨):

طلعت علينا قوافل من الشعراء يقولون بصحوة شعرية وثورة فنية، أحد هؤلاء العابثين يكتب قصيدة عن حرف الجيم اسمها الجيم تجنح:

جيم جمزت

جيم بجحت

جيم من يأجوج ومأجوج

وصفحات من الهراء والتخريف ، ورأى يقول إن الله ظلم حرف الجيم فى القرآن وأنصف النون والصاد والقاف. ويقول

هذا الشاعر الفحل العبقرى: أنا لا يفصلنى عن المتنبى إلا أحد عشر قرنا وما كان يستطيع أن يقول عن الجيم سوى ما قلته .. ذلك هو متنبى زمانه الأعجر الأزعر.

ثم يطلع علينا شاعر آخر فى مجلة إبداع يصف العملية الجنسية بالتفصيل ثم يصف خلق الله لحواء قائلاً:

واتكأ عليها كوع الله

وأحدث ثقبا (يقصد الفرج)

فلا يكتفى بالجرأة علينا وإنما يشفعها بالجرأة على الله بهذا السخف والسفول. ثم رأينا كالعادة من يدافع عن هذا الشعر الجديد ويزعم إن مصادرة هذه الإبداعات عدوان على الحرية. وما هى ابداعات بل هى قاذورات . ولا ينطبق كلامنا على الشعر فقط. بل كل ألوان الفنون، فالفن التشكيلى تحول إلى شخبطة وألوان مدلوقة على الورق وأكوام من الزلط والحديد والخردة تحت مسمى النحت، ثم لجان أجنبية مشبوهة تقدم الجوائز على هذا الهراء لتروج له أكثر وأكثر ونسأل الله اللطف . أ. هـ.

مصادر الابداع والغيب :

كل ما قيل فى الإبداع ودوافعه وخلفياته وكنهه ما هو إلا مجرد نظريات وفروض، لا تستند إلى حقيقة ثابتة، فالموهبة مثل أىّ رزق إلهى يُمدّكم الله به أيها المبدعون﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام : ١٦٥] وهو مثل المال والصحة والجاه والسلطان وغير ذلك من أرزاق الله للناس فى الدنيا. والمسرف فى إنفاق المال سفيه؛ لأنه ينفقه فى غير مرضاة الله قال تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[النساء : ٥] والذى يصرف موهبته الإبداعية فيما يغضب الله، هو انسان سفيه، ويجب أن

لا تعطيه الدولة واجهزة الإعلام الفرصة لنشر سفاهته في الإذاعة والتليفزيون والصحف والكتب، فالكلمة لها أثر خطير في تغيير النفوس، فهي مشتقة من كلم يعني جرح، انسان مكلوم يعني مجروح. فكما أن الخنجر والسكين تجرح جسد الإنسان، فالكلمة تجرح نفسه وقلبه، وأثرها واضح وإن كنا لا نلمسه مباشرة. واذكر أن الكاتب الألماني جيته بعد أن نشر روايته (آلام فارتر) وقرأها الشباب انتحر أكثرهم بتأثير الرواية عليهم. والآن لم يصبح الفن كلمة تقرأ بل صوتا مسموعا وصورة مرئية وموسيقى تأثيرية وإيحاءات بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وأصبح خطر المبدع أكثر أثرًا من ذى قبل.

والفنان إنسان يمتلك نفسًا قابله للتأمل بفطرتها، ولإحساسها بالتميز. تجدها نفسا عصيَّة طاغية تؤله ذاتها، وهى أكبر ابتلاء للمبدع إذا لم يُروضها ويجاهدها ويكبح جماحها وغرورها، فهى تكاد تقول: أنا اللهَ، أنا أخلق وأبدع قصصا وروايات ومسرحيات وفنونا لا تختلف عن العالم الموجود بما فيه ونفس المبدع بفطرتها قابلة بطريقة غير عادية لتلقِّى الإلهام الملكى والوسوسة الشيطانية. جهاز حسَّاس مُهيأ للتلقى والبث. فإذا لم يكن المبدع على بصيرة يستمدها من إيمانه بالله واعتماده عليه تعالى لا على نفسه، ويعرف من أين يأخذ وكيف يُعطى فهو من الهالكين المُهلكين. وأصل الإبداع، هو العالم الغيبى والخواطر التى تمر على القلب، وهى أربعة: خاطر إلهى، وخاطر ملكى، وخاطر نفسى، وخاطر شيطانى. ومن لم يفرق بين هذه الخواطر ويعرف علاماتها ذوقا وخبرة، ويبث كل ما يخطر فى قلبه إلى الناس فى شكل أى إبداع، فهو إن أفاد الناس فبالمصادفة ولكن ضرره أكثر

من نفـعه فى الـغالب. فـالمبـدع إنسان قـابل للوسـاطة النفـسيـة ولا نقول الروحـية، كما يدعى أصـحاب مذهب الروحيـة الحديثة. فهو أقرب ما يكون إلى عالم الجن والشـياطين إذا كان عاصيا لله، وأقرب لعالم الملائكة إن كان مطيعـا لله. وصدق العرب قديماحين قالوا بوجود شيطان الشعر وإلهـام الجن للشعراء. وقصة الشاعر العربى (الأعشى) معروفة:

ففى شـرح ديوان الأعشى للآمدى قال الأعـشى: خرجت أريد قيس بن معـدى كرب بحضرموت، فضللت الطريق، فـوقعت عينى على خباء فقصدته وجلست على بابه، فإذا بشيخ أخذ ناقتى وقال أين تقصد؟ ومن أنت؟ فأخبرته أنى أريد قيس بن معدى كرب قال: أظنك قد مدحته بقصيدة فأنشدنيها فقلت:

رحلـت سميَّة غـدوة احمالهــا   غضبى عليك فـما نقول بدالها

فنادى: يا سـميـه. فخـرجت جارية، فـقال لهـا: أنشدى عـمك القصـيـدة التى مـدحت بهـا قيس بن معـدى كـرب . فـأنشـدتها ما غادرت منهـا حرفا ثم قال: هل قلت شيـئا آخر؟ قلت: نعم. قلت قصيدة هجوت بها ابن عمى يزيد بن سـهر قال: وما قلت؟ قلت:

ودِّع هريرة إن الركب مـرتحل   وهل تطيق وداعـا أيهـا الرجل

فنادى : يا هريرة فـخـرجت جـارية وقـالت: نعم يا أبت قـال: أنشدى عمك القصـيدة التى هجوت بها يزيد بن سـهـر. فأنشدتها. فسقط فى يدى، فلما رأى مـا نزل بى قال: أنا صاحبك الذى ألقى على لسانك الشعر ا.هـ[1].

وهذه القصـة تفسر مـا ذكره د. مصطفى عن المتنبى والشـعر الحديث العبثى والفن الهابط، فهو نتيجة إلقاء الجن والشياطين فى نفس المبدع وأذكـر أن الكاتب السورى (حنا مينا) قال عن نـفسه

(١) لقط المرجان فى أحكام الجان. الإمام جلال الدين السيوطى. مكتبة القرآن ص ١٦٠.

فى مجلة الدوحة القطرية: إنه قبل أن يشرع فى كتابة رواية بأيام، يصاب بحالة من الاكتئاب والحزن والضياع، ويميل إلى العزلة ويستوحش من الناس ويهيم على وجهه فى الشوارع ليلا. يظل هكذا أياما ثم يبدأ فى كتابه الرواية. ولا أظن أن هذه هى أحوال الملائكة والأرواح الطاهرة النورانية.

فالنفس المبدعة داء خطير لصاحبها. ودواؤها الاقتراب من الله والإيمان والعمل بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه. وحبذا لو سلك المبدع سلوكا صوفيا ولو قليلا، حتى تشف نفسه، ويتمكن من فرز الخواطر ويلقى الخاطر الشيطانى جانبا، ويُعرض عنه ويُقاومه، ويقبل الخواطر الأخرى من خاطر إلهى وملكى ونفسى، إن أُلهم بخير، فهذه حقيقة الإبداع ومصادره، وليس ما قلناه نظرية أو فرضًا، بل حقيقة مُؤكَدة وقد حكى بعض الصوفيةواقعاتهم مع الشيطان حيث أملى على بعضهم كُتبا كاملة فى السلوك والمعارف، فلما عرضوها على شيوخهم أوضحوا لهم أن هذا إلقاء شيطانى، فقد ذكر سيدنا عمر الفوتى التيجانى فى كتاب (رماح حزب الرحيم) أن الشيخ زين الدين الحوافى قال: دخل أحد أصحابى الخلوة فى خراسان فجاءه الشيطان فى صورة الخضر عليه السلام وقال له: تريد أن يحصل لك العلوم اللدنية. وكان صاحبى هذا مائلا لأن يتكلم بالمعارف. فقال له الشيطان: افتح فاك، فرمى الشيطان بزاقه فى فيه. ثم صنَّف كتابا فى المعارف، فلما التقيت به وحكى واقعته قلت له: يا مسكين. ذلك الشيطان جاءك فى صورة الخضر ولعب بك وشغلك عن طاعة الله وذكره. ا.هـ[1].

---

(١) رماح حزب الرحيم على هامش كتاب جواهر المعانى. الشيخ عمر الفوتى ط مكتبة الحلبى ١٩٦٣ ص١٣١.

وحدث نفس الأمر للشيخ نجم الدين كبرى لكن لم يكتب إلا بعد عرض الواقعة على شيخه، واكتشف أن الإلقاء كان شيطانيا، وكذلك حدث نفس الشيء للشيخ محمد مهدى الرواس الرفاعى، وكان الذى خلصهم من إلقاء الشياطين هم شيوخهم، وهؤلاء يا أخى شيوخ أجلاء، ولم يسلموا من إلقاء الشيطان، فما بالك بالمبدعين، الذين يجهلون هذا الأمر تماما ويعتبرونه خرافة. وليس عندهم أدنى معرفة به، وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد الهداية.

والله تعالى لم يعط الموهبة الإبداعية للكاتب عبثا، بل الكاتب مطالب بتصريفها فيما يرضى الله. فلا تحسب أيها المبدع أن موهبتك من عندك وتفعل بها ما تشاء وتقول كمن قال الله فيه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص : ٧٨] فموهبتك من عند الله، وأنت محاسب عليها يوم القيامة فإن صرفتها فى رضا الله فهى لك، وكل من اهتدى بكلامك فهو فى ميزانك يوم القيامة، وإن صرفتها فى غضب الله فعليك وزرها ووزر من عمل بقولك. فانتبه واحذر الشيطان والنفس الأمّارة، وكان الله فى عونك.

الإبداع والمرض النفسي:

فى حوار مع د. أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسى والمنشور فى جريدة الأهرام (ملحق الجمعة ١٩٩٧/٥/٣٠ ص٣) قال: إنه أشرف على دراسة دامت خمس سنوات. أكّدت أن المبدعين من البشر من كُتّاب وشعراء وموسيقيين. مُعظمهم يعانى من أمراض نفسية وبالذات الاكتئاب الابتهاجى الذى يؤدى إلى الانتحار، وقد نوقش هذا البحث أمام المؤتمر الأوروبى للطب النفسى، المنعقد فى جنيف الأسبوع الماضى فى الندوة الخاصة بالإبداع والمرض النفسى، أجريت الدراسة على ٦٠ من المبدعين الأحياء، وبعض

الراحلين، ووجدت الدراسة أن الاكتئاب الذى يصيب ٦،٥٪ من الشعب، ويصيب الكتَّاب بنسبة ٤٠٪ والمبدعين تزيد عندهم الاضطرابات المزاجية والانتحار عشر مرات أكثر من مجموع الشعب، وثلث كتاب القصة يُعطون تاريخا للتقلبات المرَضيه، وثلث المبدعين قد تلقوا علاجا لأمراضهم النفسية، ويعتقد بعضهم أن المرض النفسى أحد مكونات الشخصية الإبداعية وأن هذا قدَرُهم.

والاكتئاب الابتهاجي يصيب ٤٢٪ من الكُتَّاب و٥٠٪ من الشعراء وهو مرض عبارة عن نوبات اكتئاب يعقبها نوبات ابتهاج وانبساط ومرح تتميز بالنشاط والعظمة والغرور وكثرة الكلام والصراحة الزائدة وتطاير الأفكار والنطق بألفاظ غير لائقة. وانتهى البحث بافتراض وجود علاقة بين الموهبة والإبداع الفنى وبين الأمراض المزاجية، وبعض المبدعين أنهوا حياتهم بالانتحار مثل ارنست هيمنجواى والرسَّام فان جوخ. والمبدعون يعتقدون أنهم لو عالجوا أنفسهم فلن يستطيعوا الإبداع وأن معاناتهم النفسية جزء من تكوينهم الفني.

هذا ملخص ما قاله د. أحمد عكاشة.

وصيّة لإخواننا المبدعين:

نقول: ما زالت أسباب الأمراض النفسية مجهولة، وليس من باب الخرافة والجهل كما يظن أصحاب القلوب التى رانت عليها الذنوب أن تُرجع أسباب هذه الأمراض لهيمنة الجن والشياطين على نفس المبدع والاستحواذ عليه. وما ذكره المرحوم الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه (الإنسان روح لا جسد) عن السيدة التى كانت تنطق بقصائد الشاعر أحمد شوقى، وهى ربة بيت عادية. ليس لها حظ من معرفة الشعر، وأنه عَرَض هذه القصائد على

أساتذة النقد الأدبى المتخصصين فى دراسة أمير الشعراء أحمد شوقى فأكدوا أنها من أشعاره التى لم تنشر، وأخبرهم بعد ذلك بمصدر الشعر فبُهتوا وقال د. عبيد إن روح أحمد شوقى هيمنت على هذه السيدة القابلة للوساطة الروحية، ونطقت بالقصائد على لسانها، حسب مذهبه.

يعلق د. محمد محمد حسين فى كتابه (الروحية الحديثة دعوة هدَّامة) بيروت - ١٩٨١ م. قائلاً: إن الشعر الذى ذكرته هذه السيدة هوركيك العبارة تافه المعنى، لا تضع نسبته لأقل الناس حظًا من الموهبة الشعرية، وقد قالت قصيدة على لسان شوقى (المظلوم حيًا وميتًا) تبث الفرقة بين العرب وتكيد لهم. صـ ٢١ من الكتاب المذكور.

ونقول إن صحَّت القصة، إن الذى املى عليها القصائد ونطق بلسانها هو قرين أحمد شوقى، والقرين كما هو معروف شيطان وليس روحًا، فالروح لا تحضر بهذه البساطة. فهى فى البرزخ إلى يوم البعث.

ويعلم الله، أننا نقول هذا الكلام، من منطلق حرصنا على نجاة بعض المبدعين مما هم فيه من ضلال وهم لا يشعرون بذلك، والمؤمن مرآة المؤمن. ولا نضمر لهم فى قلوبنا إلاكل خير، وندعو لهم بالهدايةالكاملة، فليس كلامنا من باب الاتهام والتشهير وتنفير الناس من قراءة إبداعهم. فإنهم قوة لنا ويمتلكون القدرة على إصلاح المجتمع، وجمع شمل الأمّة، وكلهم فى مقام آبائنا وإخواننا وأولادنا ونكنَّ لهم الحب والشفقة والرحمة، ونتحدث إليهم من منطلق النصيحة والتبصير بالحقيقة، وإن كنا غير مؤهلين لهذه المهمة ولكن حالنا كما قال الشاعر:

والنصح مطلوب لأمَّة النبى　　فاسمعه من عبد مسىء مذنب

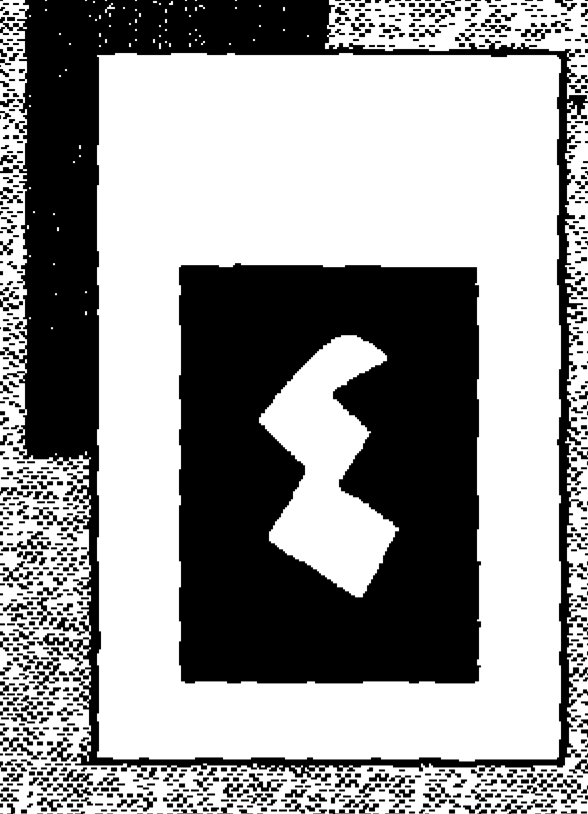
فالمبـدع قد أكـرمه الله بثـروةروحيـة هائلة، وَالروح تحن إلى عالم النور، ولكن المبـدع يجذبها إلى عالم الظلام والمادة والـتشتت والكثرة، وهى تجذبه إلى عالم المعانى النورانية، وهذا سر الصراع الذى يعيشه صاحب الموهبـة الصادق، وليس المدَّعى للموهبة الذى يصطنعها ويتكلفها. فهذا لا يشعر بأى صراع أو عذاب.

ودواء هذا المبـدع القلق المـعذب الحـائر، هـو اللجـوء إلى الله، وتنميةنزعة الإيمان وتقويتها فى قلبه. باتباع المنهج الإلهى واتباع الكتـاب والسنَّة ولو وفَّقـه الله لسلوك الطريق الصـوفى لكان أتم وأكمل. حيث يسـتطيع معرفة مصدر الإلهام. فـيقوم بالدور الذى اخـتـاره الله له علـى أحـسن وجـه. ويخـرج من دائرة الحـيـرة والالتباس والألم النفسى الرهيب الذى لا يعـانيه إلا المبدع، وندعو الله لجميع المبدعين بحسن الخاتمة.



د. مصطفى محمود

والتصـــــوف



البصمات الصوفية فى حياته

كى نسـهل على القـارئ هذا الموضـوع نذكـر له حياة د. مصطفى محمود.

حياة د. مصطفى محمود فى سطور:

- وُلد فى شبين الكوم فى ٢٧ / ١٢ / ١٩٢١.
- قـضى مرحلة الدراسـة الابتـدائية والإعـدادية والثانوية بمدينة طنطا.
- التحق بكلية طب قصر العينى وتخرج عام ١٩٥٢.
- تخصص فى أمـراض الصدر ومارس الطب فى مسـتوصف للصدر بمصر القديمة ثم استقال عام ١٩٦٠ وتفرغ للكتابة.
- صدر له أول كتاب. مجموعة قصصية (أكل العيش) ١٩٥٤، ثم كتاب (الله والإنسـان) ١٩٥٦ وهو مجموعة مقـالات كتبت فى عـام ١٩٥٥ ونشرت، وانتـهى الكتـاب إلى المصـادرة ومحـاكمـة الكاتب.
- مُنع من الكتابة بعـد مقالته (هتـلر والنازية) التى نشرها فى صباح الخير. بأمر السلطة الحاكمـة. واعتكف فى بيته عاما كاملا مشتغلا بتأليف عدة مسرحيات.
- تعــاطف مع الفكر المادى فـى بداية حـيـاته الفكريـة، لكنه لم ينتظم فى أى حزب شـيوعى أو غيره ولم يكن يومـًا ما ملحدًا أبدا كما اشتهر هذا عنه عند عامة الناس، وأشاد به كُتَّاب الماركسية ولما تنكَّر لمذهبهـم وعاد إلى الصواب قالوا عـنه مجنون، هكذا من

زعيم للإبداع وتشيكوف عصره إلى رجل (أهبل) حدث هذا في أيًام، وهذه أخلاق الماديين الاشتراكيين، فلا تتعجب.

- ذهب إلى مؤتمر آسيوى أفريقى فى تنجانيقا حين كان يعمل فى مجلة روزاليوسف وترك المؤتمر وأخذ يتجول فى قارة إفريقيا وكتب عن هذه الرحلة كتاب (الغابة) ١٩٦٣.

- ذهب إلى أوروبا في مجموعة سفريات ما بين عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٨ كتب عنها كتاب حكايات مسافر ١٩٦٨م.

- صحب الصوفية وأخذ العهد على يد الشيخ محمد منذور النقشبندى فى مكة عام ١٩٦٦م تبركا.

- قام برحلة إلى ليبيا والجزائر والنيجر، كتب عنها كتاب (مغامرة فى الصحراء) ١٩٦٩م.

- حاز على جائزة الدولة التشجيعية فى الأدب عن فن الرواية عن روايته رجل تحت الصفر ١٩٧٠م.

- عرض عليه الرئيس السادات عدة مناصب تتعلق بالثقافة فرفض لأنه أدرك أن تولّى هذه المناصب سيقضى عليه ككاتب ومبدع.

- قام فى السنوات الأخيرة بتأليف كتبه المشهورة باسم (مجموعة الصراع العربى الإسرائيلى) منها على سبيل المثال: الإسلام السياسى، الإسلام فى خندق، على حافة الانتحار وغيرها. وفاز منها كتاب على حافة الانتحار بجائزة أحسن كتاب فى العالم العربى عام ١٩٩٥ ثم فى العام التالى ١٩٩٦ فاز كتاب زيارة للجنة والنار بجائزة أحسن كتاب فى العالم العربى أيضا.

- حاز على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ١٩٩٦.

- تزوج. وله بنت (أمل) خريجه كلية الآداب متزوجة ولها

ولَدان أحمد ومحمود، وله ولد (أدهم) خريج كلية التجارة.

– يعيش الآن فى شقة متواضعة. ملحـقة بأعلى مسجد محمود بالمهندسين والذى يضم مركزًا إسلاميا متكاملاً.

– وظّف قلمه للدفـاع عن الإسلام فى سماحة ويسـر واعتدال وكشف الـدسائس والمؤامرات الدنـيئة التى تُحـاك للمسلمـين فى الداخل والخارج وحاول تقريب مفهـوم التصوف لعامة القراء فى الداخل.

– حمل على عاتقـه فكرة وتنفيذ أشهر برنـامج تليفزيونى هو (العلم والإيمـان) وقام وَحـدَه بعصـاميـة نادرة، بالحصـول على الأفلام من السـفارات الأجنبـية فى مصـر، لمدة أربع سنوات، ولما نفدت هذه الأفلام سـخَّر الله له بعض شركـات الإنتاج الإعلامى، وتبنت البرنامج ويعتبر تعثر إذاعته الآن خسارة كبيرة للتليفزيون والمشـاهدين الأسـويـاء الذين فـقـدهم التلفـزيـون. وسـجَّل منه ٤٠٠ حلقة.

ولنبدأ بذكر البصمات الصوفية فى حياته:

فنقول: لا معنى لحياة الإنسان ولا قـيمة لوجوده إذا اقتصرت حياته على التكرار المتعـدد، دون تغيير وتفرد، ودون أن يصل إلى معرفـة الله تعالى، وتحقيق العبـودية له سبحانه، ونقصـد بتعدد التكرار، تشـابه السـاعات والأيام والسنيـن. وتشابه الأفـراد من حيث نمطية الحياة. فـتكون أنت مثل الآخر. لا فرق: ولادة، طفولة، تعليم، مهنة، زواج، إنجاب أولاد وأحفاد. ثم الموت. عبودية لرغبات الجسـد من أكل وشرب ومتع دنيـوية زائلة، وهذه ضرورات لابد منهـا، بل أصبحـت غير مـتوافـّرة لأغلب الشبـاب فى أيامنا هذه. ونحن لا نقلل من شـأن هذه الأمور، فـهى هيكل وجود الإنـسان، ولكن الخطر يكمن فى الغـفلة عن الله وأن تكون هذه الأشـياء هى

كل محور الحياة، ثم لا شيء بعدها. والملل والتكرار الذى يعيشه الناس، لا وجود له إلا فى العالم المادى، وحتى العالم المادى لا تكرار فيه، فهو من أثر تجليات الله، والله تعالى لا يتجلى مرتين متماثلتين فى أقل من الثانية الواحدة. وتجلِّيه على الإنسان يتغير من نَفَس إلى نفس، وانظر إلى قلبك ومايجرى فيه من خواطر، تجد أنها تيار سريع جدا من الصور لا تستطيع ضبطها لحظة. وهكذا كل شيء فى العالم إذا ادركته البصيرة قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] فالخلق الجديد حادث فى كل لحظة ولو طهرت قلبك ومحوت منه صور الكون بالذكر والعبادة الشرعية، لنزلت فيه الصور النورانية والمعانى والعلوم العرفانية، ووجدت تغييرًا وسعادة وابتهاجًا معنويًا أكثر بكثير مما تحلم به وأنت جالس فى غرفتك ولو كانت مترًا فى متر. ستجد أن العالم كله عندك، لأنك نسخة من العالم. كما قال ابن العماد فى كتاب كشف الأسرار عن الإمام الدرينى:

وفيك سرٌّ نسخة الوجود   فانظر فأنت أقربُ الشهود

ولا تحتاَج إلى ما يكسر الرتابة والملل والفراغ؛ لأنها أمور موجودة فى وهمك، نتيجة غفلتك وجهلك. ولكن أين هذا الإنسان؟ هذا الأمر لا يأتى إلا بعد جهاد شاق، وقتل النفس ألف مرّة، وهو مقام لا يحدث إلا لأفراد معدودين، ولكننا نذكره تحفيزا للهمم. وتعريفا بالحقائق، لعل هذا الكلام يقع فى قلب إنسان مستعد لذلك، فيعمل به.

وياليت محور الحياة الضرورى هو الذى يشغل الناس فقط، بل الأدْهَى والأمَرّ، أن الناس اشتغلوا بتفاهات وسفاسف الأمور وصار الجد لعبا واللعب جدا، وأصبحت مجالس الخلق كلهم عبارة عن حديث فارغ عن الدنيا لا يتعدى المطالب الحيوانية. وأصبحت

العبـادات من صلاة وصيـام وزكاة وحج طقـوسا آلية خـالية من روح العبادة، يفعلها الناس بحكم العادة.

ومن أراد سلوك الطريق إلى الله، تسلطت عليـه شياطين الإنس والجن؛ الشيـاطين بوسوستهم، والإنس بمشـاكلهم التى لن تنتهى لأنها كـامنة فى نفوسـهم، وهم لا يحاولون تغـيير هـذه النفوس. فيـفقد السـالك هدفه، ويضـيع فى دوامة هؤلاء الغافـلين. سـألت إمامنا مـحمد زكى إبـراهيم عن حل لمشكلة إشغال الـناس للسالك وتضيـيع وقته والهـجوم عليه فى أى لحظة. وكـأن وقت الإنسـان مثل التراب ليس له قيمة.

فـأجاب: إذا وجـدت لهذه المشكلة حـلاً فأخـبرنى به فـأنا فى حاجة إلى هذا الحل.

ومـا ذكـرت لك ذلك الكلام، إلا لأنـك سـتـجـده فى كـتـابات د.مصطفى محمود بالتفصيل، ويطلق د. مصطفى على هذا الصنف من الناس (الدشت البشرى) والخـروج من عفن هذا الدشت يكون بسلوك طريق الله، وهـو سهل لمن يسّـره الله له ومـسـتحـيل لمن عسَّره الـله عليه، والتيسـير أو التعسـير يبدأ من الإنسان نفسـه، ويمده الله حـسب نيته واسـتعداده، يقـول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٤ – ١٠] فلُمْ نفسك فأنت السبب.

١ – البـــدايـة :

بدأ الدكتور مصطفى حياته، طفلا ضعيف البنية. فقد وُلد توأما وتوفى شقيـقه بعد أيام، فكانت الأمراض تتـوالى عليه، وهكذا بدأ البـلاء يصاحبـه منذ النَفَس الأول من حـياتـه، وهى علامـة من علامات العناية الإلهـية والابتلاء الخاص تصاحبه الـرعاية الإلهية

الخـاصة، فلم ينهـمك د. مـصطفى مثل أقـرانه فى اللعب واللهـو والشقاوة، بل كـان يجلس دائما وحيدا متـأملا حالما بأن يكون له شأن فى المستقـبل، عالما، مخترعا مُفكـرًا... الخ وعاش طفولته فى شبه انطواء.

ومن البصمـات الصوفية أنه نشـأ فى أسرة فـقيرة فى الظاهر غنيَّة فى الباطن من بركةوأنفاس والده الطيِّب. قال لى: كان والدى يعمل مُحـضرا فى محكمة بطـنطا مرتبه ٨٠ قرشًا، ولـكن البركة كانت تسرى فى هذا المبلغ القليل.

٢ - السلالة النبوية الطاهرة:

أخبـرنى د. مصطفى أنه ينتـسب إلى أهل البيت، أثنـاء حديثى معه عن التصوف، ولم يقل أكثر من هذا. ولم أسأله عن التفاصيل بل قلت: أنت حسنى أم حسينى فقال: حُسَيْنى.

وكأن الله تعالى أمسك لسانى عن الكلام. وذات يوم وأنا أعمل فى عيـادتى، فى شهـر يونيو ١٩٩٧ وبعـد أن انتهيت مـن عملى دخل علىَّ رجل من أهل الطرق الصوفية، لم أره منذ ثمانى سنوات تقريبا، وجلـس وأخذ يتحدث عن أهل البيت ونـقابة الأشراف فى مصــر ثم قـال فجـأة: هل تعلم أن د. مصطفى مـحمـود من أهل البيـت؟ فأُخذت وأصـابتنى دهشـة أخـفيـتها وقلـت: ولماذا ذكرت د.مصطفى مـحمود بالذات؟ قال: أبدا خطر ببـالى الآن. وأنا أحفظ نسبه مسلسلا إلى الرسول (ﷺ). قلت: اذكره لى فأمْلى علىَّ وأنا أكتب:

(د. مـصطفى كامل) اسـم مـركب، بن مـحمـود بن جسـين بن الحسـيب بن عبـد الله بن حمْد بـن على بن عمر بن نصـر الله بن هديب بن مالك الدار بن ناصر بن عبد العال بن مـحمد محفوظ بن حماد بن محمد طوق بن جعفر بن محمد بن الأمير حَمَدْ بن محمد

الناصر أبى جعفر بن يوسف بن إبراهيم بن عبد المحسن بن حسين المغربى (دفين فاس) بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن على الثقى بن محمد الهادى ابن الحسن العسكرى بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

وحين همَّ الرجل بالانصراف قلت له: هل تعلم أنى أقوم بإعداد كتاب عن د. مصطفى. فقال ضاحكا: شوف يا أخى الصدفة الغريبة .

وبعدها عدت إلى د. مصطفى وراجعت معه تسلسل هذا النسب الشريف فقال: هو كما قلت، لم ينس الرجل اسمًا واحدًا. وكانت هذه الحادثة من الأمور غير العادية، وأهل الله يطلقون عليها ألفاظًا أخرى، لكننا نتحدث لعامة الناس، فلا داعى لإدخالهم فى متاهات.

وقد سألنا الرسول ﷺ المودة لقرابته ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] كما قال ﷺ لابنته فاطمة رضى الله عنها: اعملى يا فاطمة فإنى لن أغنى عنك من الله شيئا. وأهل الله العارفون يعرفون أهل البيت بمجرد رؤيتهم. وذكر الإمام الشعرانى فى (المنن) أنه يعرف صوت الشريف بمجرد سماعه دون أن يراه.

ولكننا للأسف نرى بعض الناس يعلنون انتسابهم لأهل البيت زورًا، وهؤلاء الله حسيبهم والنبى حسيبهم، وقد أعلن صدَّام حسين أنه من أهل البيت. والله أعلم بحقائق الأنساب. وقد أخبرنى شيخى المرحوم محمد شهاب الرفاعى أنه طالع بعض شهادات الانتساب لأهل البيت فوجدها غير صحيحة لسبب بسيط،

وهو أن عـدد الأسـمـاء المتسـلسلة لا يتـفق مع الزمن والتـاريخ، ولا نقول هذا الكلام للتـشكيك فيمن يدعى الانتسـاب لأهل البيت، ولكن من باب الحـيطة، فنحن فى زمـان يتـاجر فـيـه الناس بأى شىء. وانتشر الكذب والتزوير. وللشـيخ الأكبر ابن عربى باب فى الفتوحات المجلد الأول ص١٩٥. دار صادر بيـروت ذكر فيه السر الذى يُلحـق الولى بأهل البـيت وأقطـاب هذا المنزل وأسـرارهم ومـعارفـهم وعلومـهم والسر الذى ألحق سلـمان الفـارسى بأهل البيت، ولولا أننا وضعنا هذا الكتاب لعـامة الناس جريا مع ما يراه د. مصطفى محـمود لذكرنا طرفا من الحـقائق والأسرار التى باح بهـا الشيخ بالإشـارة والأسمـاء، فمن أرادمـعرفـة المزيد عن هذا الموضوع فليرجع إلى الباب الذى ذكرنا فى الفتوحات المكية.

٣ - الأب :

ومن البصمـات الصوفية فى حياة كـاتبنا وجود والده وتأثيره فى مسيرة د. مصطفى. فكان قدوة لولده.

قلت للدكتور مصطفى: حدثنى عنه.

قال: لم يكن مـثقفـا ولا مطلعا على النظريات الحـديثة فى علم النفس والتـربية، ولكنه كـان يجيد اللغـة الفرنسـية بطلاقـة، كان رجـلا بسيطا باطنـه عامـر بالإيمان الـعمـيق، وحب الله، والحب الفطرى للخـير والرحـمة، والتـسليم والتفـويض والرضا. ونـشأ د.مصطفى فى كنف هذا الوالد الذى كان يتخلق بأخلاق الأولياء.

سألته: لقد ذكرت فى كتاب (القرآن. محاولة لفهم عصرى) أنك كنت متـعثرا فى دراسـتك الابتدائية، وكـان الصفر الأحـمر يزيِّن كراساتك، وأنك رسبت ثلاث سنـوات فى السنة الأولى، فماذا كان موقف والدك؟

قـال: لم يكن رسوبى نتـيـجة قـصور ذهنى وبلادة، بل كـان

نتيجة الإرهاب والضـرب والخوف من المدرسين. أما والدى فكان الأمر عاديا جدًا عنده، ولم يعنِّفنى على ذلك أبدا.

ولذلك يكره د. مصطفـى طريقة التربيـة المبنية على البرمـجة، وحـشو أذهان الأطـفال بالأفكار المفـروضـة عليـهم (بالعـافيـة) وجعلهم آلات تتحرك فى صف واحد، حتى غرس التديُّن، يجب أن يكون فى قلوبهم وبالتـدريج والملاطفة والإقناع الهـادئ واللجوء والتضــرع إلى الله فى إصــلاحهم. فالـله تعالى بيـده مقالـيد كل الأمـور، وهذا يا أخى شـأن أهل اللـه فى تربيـة أولادهم، اتخـاذ الأسبـاب ظاهرًا واللجوء إلى الله باطنا. وهذا الذى يعـوَّل عليه فى هذا الأمر.

يقول الإمام الشعرانى :

«من أخلاق القوم كثرة تفـويضـهم إلى الله فى أمر أولادهم فلا يكون معولهم فى أمر هدايتهم إلا عليه. ولا يطلبون شيئا بأنفسـهم وهم غائبون عن الاستناد إلى اللـه. وكان لى ولد ليس له رغبة فى طلب العلم. وكنت فى تعب عظيم من جهته، فألهمنى الله أن أفوِّض الأمر إليـه، ففعلتُ، فـأصبح من تلك الليلة يطالع فى العلم بنفـسه وحلا له العلم بطريقة غريبة، من غير أمرى له بذلك» ا.هـ.[1].

وهذا التصـرُّف يكون لأهل الله، وليس لكل واحد غـافل مُنكَبٍّ على الدنيـا، فـأهل الله يأخـذون بالأسبـاب ويعلمـون أن الله هو الفاعل عندها، فهم يعبدون الله، وغيرهم يعبد الأسباب.

وكان والد كاتبنا يسـير فى حياته على الاعـتماد على الله أولاً والأخـذ بالأسبـاب ثانيا، فلم يرغـم ولده بالقوة على مـا لا يريد. ومصداقا لما يراه د. مصطفى فى خطأ المناهج التى تفرض الأفكار بالقهر، نرى حولنا أطفالا كانوا يرددون بألسنتهم فى سن الرابعه

---

(١) تنبيه المفترين – الإمام الشعرانى ط المكتبة التجارية بدون تاريخ ص٧.

أو أقلّ أدعية الصباح والمساء الواردة فى السنة. ويحفظون بعض الأحاديث. بل كان بعضهم يعتكف فى المسجد فى الثامنة من عمره، وذلك بالضغط والأوامر المشددة من الأسرة، أو من المدارس التى اتخذت الدين مظهرًا لا أكثر، ولما تقدمت السن بهؤلاء الأطفال، تغيرت أحوالهم إلى النقيض. ويئس آباؤهم من إصلاحهم بعد ذلك، ونحن لا نهوّن من تعليم الأطفال الدين وتنشئتهم تنشئة دينية، لا يتبادر إلى ذهنك هذا، ولا نقول به أبدا. فقد أمرنا الرسول ﷺ أن نأمر أولادنا بالصلاة لسبع ونضربهم عليها لعشر.. ولكن يجب أن يصاحب ذلك، التربية القلبية الباطنة، والاعتماد على الله، وعدم الفرح بالأطفال حين يرددون الأذكار بلسانهم فى سن مبكرة، بل ينطبق هذا على الكبار أيضا، فالدين ليس مظهرًا فقط، فأساسه وجوهره القلب والتخلق بالأخلاق النبوية، فالرسول (ﷺ) هو أسوتنا. فلماذا نقلده فى طعامه وشرابه وردائه، ونترك مثلا قيام الليل حتى تتورم أقدامنا، ونزهد فى الدنيا، ونتواضع، ونأخذ بشدائد الأعمال . فهى أساس البناء الدينى. كان عمنامحمود قدوة لولده فى صمت. كان زاهدا فى الدنيا، راضيا بالقليل ، ليس هذا فقط، بل كان يدفع من هذا القليل لأصحاب الحاجة.

يحدثنى عنه د. مصطفى فيقول:

لم يسلك والدى طريقة صوفية على يد شيخ لكنه كان رمزا وصورة حيّة للولاية الكاملة، ورغم علمى وثقافتى فأنا أرى نفسى بجانبه مثل قطرة فى بحر أو حصاة بجوار هرم كبير، كان فقيرا، أول مرتب له كان ٨٠ قرشًا، فكان يحتفظ لنا بـ ٦٠ قرشًا ويوزع الباقى على أقاربنا الفقراء، وأذكر أنه كان يمشى على قدميه

ساعتين وأكثر ليذهب إلى عمتى وأحد أقاربى، ليعطيهم قروشًا أو شلنًا. يفعل ذلك فى أول يوم يأخـذ فيه المرتب. وكان يعمل خـتمة تلاوة القرآن فى بيتنا كل شهر، ومرض بالشلل مرتين، وفى المرة الأولى كان لا يتكلم وشفاه الله بعد عـملية فصد، وقام فى الحال. تتصور أول كلمـة نطقها كانت إيه؟ قلت: الحـمد لله؟ قال: لا قلت: قـال أشكرك يـاربى على الشـفـاء؟ قـال: لا، قلت: ولا هذه، أول ما نطق قـال: كده يارب تمرضنى قـبل ما أقـضى فريضـتك. قبل ما أحج إلى بيتك، وسافر إلى الحج. وحج حـجة عظيمة كان يحلم بها، وحدثنا عنهـا بعد عودته، ثم أصيب بالشلل مـرة أخرى وكان يتكلم فى هذه المرة، ولم ينقطـع عن الصلاة وهو مـلازم الفراش. وكان يزوره رجل صالح اسمه الشيخ على، فـيقول له: يا محمود لا تتعب نفـسك، أنت مريض.. التكليف سقط عنك.. فكنت أسـمعه وأنا خـارج الغرفـة، يرد عليه بصـوت عـال: لا تقل هذا، التكليف لا يسـقط عنى أبدا، وذلك من شـدة حبـه وخدمـتـه وعبـادته لله تعالى. لم يشْكُ من المرض أو يتألم أو يضجر ولو مرة واحدة، بل كان دائم الابتسام كأنّ المرض الذى به أصاب غيره.

وكان أكـبر مرتب حـصل عليه ٢٠ جنيهـا، وكنا أسرة كبـيرة، عدد أفرادها يحتـاج إلى أضعاف هذا المرتب. إلا أننا كنا نعيش فى رغـد من الحـياة نأكل ونـلبس كل مـا نريد. لا أعرف كـيف كـان يحـدث هذا؟ ولا أقول إلا أن السـبب كان بركـة والدى وصلاحـه ورضاه بقـضاء الله، لذلك تجدنى أحـتفظ له بذكرى طيبـة دائما، وأعتز به. وأضـعه مثلا أعلى لى، فتـرى هنا فى المركز الإسلامى، كل شئ باسمه، مسجد محمود، مستشفى محمود.

وسـرت الأنفـاس المبـاركـة لـهـذا الرجل الصـالح فى ولده د.مصطفى وانطوت فى باطنه حتى أذن الله لها بالظهور.

٤- صحبته للصوفية:

صحبة أهل الله، هى الركن الكبير فى الاقتراب من التصوف، فهم أطباء القلوب ، وأجمعَ أهلُ الله، أنه بدون هذه الصحبة يظل الإنسان فى مرتبة النفس اللوامة، ومهما جاهد نفسه لا يتعدى هذه المرتبة، فأمراض القلوب خافية جدا، والنفس مخادعة ومراوغة، وربما تحث الإنسان على كثرة العبادة لتزداد شهرة وتكبرا على أبناء جنسها، وهذه الصفة فى النفس تستند إلى حقيقة إلهية يعرفها أهل الله، فلابد من صحبة القوم كى يتخلص الإنسان من أمراضه القلبية. ولا يعوّل الواحد على ظاهره، وهنا سر الحديث النبوى « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة.. فيسبق عليه الكتاب... إلى آخر الحديث» ولم يقل الرسولﷺ بعمل يدخله الجنة، بل يعمل بعمل أهل الجنة ظاهرا لكن باطنه خراب، وقلبه ممتلئ بحب الدنيا، والغرور، والعجب والكبر، إلى آخر هذه الصفات المهلكات. فلا نجاة إلا بصحبة أهل الله.

وقد صحب د. مصطفى محمود الشيخ محمد منذور النقشبندى وأخذ عليه العهد، والتزم بالذكر القلبى حتى الآن، ويقول عن نفسه: أنا لست من السالكين؛ فسلوكى قليل، وأكثر معارفى مصدرها القراءة فى التصوف.

سألته: ألم يفتح الله عليك ببعض الفتوحات التى تقرأ عنها فى كتب القوم؟

قال: لا ... يمكن أن تقول إن الله أكرمنى بالرؤى والمبشرات الصادقة، وليس أكثر.

ونكرر إذا كان هذا حال المحب للتصوف، فكيف يكون حال السالك والذائق للفتوحات والمقامات والمعارف والعلوم اللدنية؟ وسوف نتعرض للطريقة النقشبندية بتعريف موجز فى الفصل الخاص بالتصوف الخالص.

٥- الابتلاء بالمرض الجسدى:

الابتلاء بالمرض، أكبر تطهير لنفس السالك، ذكر البخارى فى صحيحه فى كتاب المرض الأحاديث التالية:

(أ) عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من يرد الله به خيرًا يُصبْ منه.

(ب) عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب (والنصب هو التعب، والوصب هو إصابة البدن الدائمة- الزمخشرى- أساس البلاغة) ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه.

(جـ) عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيتُ أحدا أشدَّ عليه الوجع من رسول الله ﷺ.

ويقول د. مصطفى محمود:

دون أن أدخل معك فى تفاصيل المرض الذى لازمنى طوال حياتى، أقول: أجريت لى ٢٢ عملية جراحية منها ٧ كبرى كان يمكن أن تؤدى إلى مضاعفات خطيرة، ولكن الله تعالى لطف بى، أقرب العمليات كان منذ عام فقط.. وأصابتنى عدة أمراض وأنا فى السنة الثالثة فى كلية الطب، ودام هذا المرض أربع سنوات، لازمت الفراش فى حجرتى لا أبرحها وتخرج زملائى وأصبحوا أطباء، وهذه السنوات هى التى صنعتنى كما ترانى الآن، وبعد تخرجى بفترة أصابنى مرض الإسهال، إسهال غريب احتار الأطباء فى تشخيصه وعلاجه.. وصل الأمر بعد فحوص كثيرة إلى اجراء عملية استكشاف للبطن، ولم يجد الأطباء أى آثار مرضية وقال لى الطبيب: أمعاؤك زى الألماظ، وظللت عاما أو أكثر أعيش على الموز والسمك فقط ولا أتناول أى طعام آخر، ولكنى أحمد الله تعالى

على كل حـــال، وأتذكـــر والدي الذي أصـــابه الشلـل ٧ سنوات متواصلة ولم يسخط ويضجر بل كان دائم الابتسام.

والمرض للإنســان الطائع المتـبع للكتـاب والسنة من عـلامـات الحب الإلهي، والتعرف الخاص، يقول ابن عطاء الله في «حكَمه» :

«إذا فتح الله لك وجهة من التعرف فـلا تبال معها إن قلَ عملك؛ فـإنه ما فـتـحهـا لك إلا وهو يريد أنه يتـعـرفَ إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مـهديها إليه وأن ما تهديه إليه مـما هو مورده عليك».

وابن عطاء الله من شـيوخ د. مـصطفى المستـورين، أي الذين أثرت فـيه مـعارفـه الروحيـة، ومعنى حكمـة ابن عطاء، وهي من جواهر الحكم أن الله تعـالى إذا أراد بعبده خيرا، وجـذبه للتعرف ومقام العبـودية، فليهنأ العبد بهذه العناية التي لا يشـعر بها أغلب الناس، وغالـبا ما تكون واردات اللـه للعبد الخـاص، هي سطوات الجلال الإلهي، وإصـابة العبد بالبلايا والشـدائد والأمراض، التي تنغص عليه لذات الدنيا، وتمـنعه من تكثير أعمال البـر والعبادات ، وهذه البلايا تخلص الإنسان من أخلاقه الذميـمة وصفاته اللئيمة، بعكس العبـادات؛ فقد تدخلهـا الآفات من الغرور والعـجب، وفرق كبير بين وارد الله الذي يجذبك به إليه وواردات العبد التي يسعى بها إلى الله تعالى، فأين حكمة الـله من تدبيرك القاصر؟ ندعو الله تعالى أن يكون مـرض كاتبنا، من أوجه التـعرف التي أوردها الله عليه، وهي كذلك إن شاء الله.

ولعلنا جميعا شــاهدنا حلقـة العـلم والإيمـان التي عرض فيها د. مصطفى قـصة إصابتـه بحصوة ضخـمة في الكلى، واستـعد لاجراء العمليـة، ولجأ إلى الله بالدعاء ، فنزلت الحـصوة مطحونة كالدقيـق ، وما كانت أدق أجهزة اللـيزر وتفتيت الحـصوات، تقدر

على ذلك، ولكن الله أكرم عبده المضطر حين دعاه، وشفاه دون تدخل جراحي.

٦- أذى الناس:

قال الحسن البصري: «لو اغتبتُ أحدا، لكان أمي وأبي أحق الناس بذلك؛ لأنهما أحق الناس بأخذ حسناتي» فمن اغتابك يا أخي، أو ظن فيك السوء وهو يعلم يقينا أنك بريئ من ذلك، فهو يهدى إليك حسناته، ويتحمل عنك سيئاتك، وتتمنَّى يوم القيامة لو أن جميع الناس أساءوا إليك في الدنيا، فهم المفلسون وأنت الثرى فما يسلط الله الناس على العبد الصالح عبثا، ولكن ليوحشه منهم فينفرد إلى الله ولا يركن لأحد من الخلق ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن﴾ [الأنعام: ١١٢] وهذه الآية تنسحب على أهل الله لأنهم ورثتهم.

وقد أوذى د. مصطفى محمود من جميع الطوائف وأصحاب أغلب المذاهب، وهذا أمر غريب، هاجمه الشيوعيون، ومنعته السلطة الحاكمة عاما كاملا من الكتابة والعمل ، فظل في بيته يرتزق ممَّا تدر عليه مؤلفاته التي حققت توزيعاً جيداً.

ويقول د. مصطفى محمود عن المرحوم الإمام محمد الغزالى في كتاب (على حافة الانتحار): كان بالنسبة لى أخا ووالدا ومعلما، ودليلا إلى الخير، وكان يبكى لما يجرى على المسلمين من ويلات كأنهم فلذات كبده، كان ودودا رقيقا وديعا خيراً، ونوراً في ليل هذا الزمان. ولا يختلف اثنان على الشيخ محمد الغزالى فقد كان من أكبر الدعاة المعتدلين الأذكياء العلماء بحق، ومن الأصوليين والسلفيين، والإخوان المسلمين، ورغم شهادة د. مصطفي وكلامه عنه الذى ذكرناه سلفًا، فقد تلقى د. مصطفى هجوما شديدًا من الأصوليين، والسلفيين، وقد ذكرنا ما حدث بينه وبين د. بنت الشاطئ، ولم يكن الهجوم عليه من مصر وحدها،

يقول فى كتاب (الغد المشتغل):

لقـد كنت هدفا لتلك الموجـة الغوغـائية التى اسـتخـدمت الدين للهدم والتحريف ونشر الفوضى حين صدر كتابى (القرآن محاولة لفهم عصرى) فطلع من السـودان كتاب أسود فى حقى من تأليف محـمد طه يتـهمنى بالكفـر والضلال، وقـد شنق هو نفسـه بذلك بنفس التهـمة ، شنقه حكم قضـائى فى عهد النميـرى. وتلا كتابه كتب أخرى تتهمنى جزافا، اتُّهمت بأنى قاديانى وبهائى.

ونكرر القول بأنه لولا الرجلين المستنيرين المرحوم د.عبدالحليم محمود شيخ الأزهر والصوفى صـاحب المقامات العالية، والمرحوم د. عـبـد العـزيز كـامل وزير الأوقـاف لظـل هذا الكتـاب فى طى النسيان حتى الآن.

ونحن لا نضـع د. بنت الشـاطئ فـى صف هذه الهـجــمـات الغوغائية طبعا. سألت د. مصطفى.

– لماذا لم ترد عليها حتى ولو بمقال واحد.؟

– قال : لـم أفعل ذلك لأنهـا من الجالسـات على مائدة القـرآن الكريم فلها قدرها وأنا أحترمها على أى حال.

– قلت: فلِمَ فعلت ذلك؟ شـجعتك على وضع الكتـاب واختارت عنوانه ثم قامَت بالهجوم عليك؟

قال ضاحكا: يعنى يا سيـدى واحد فتح دكان جنب واحد تانى يملك نفس البضاعة ، ماذا تنتظر أن يحدث؟

ومن المواقف التى عشتها بنفسى هذا الموقف:

أعطانى د. مصطفى كتابًا لأحد الصحفيين عبارة عن حوار معه، فوجـدت فى الكتاب ذكراً لأمـور خاصة جـدا بحيـاة د. مصطفى وكـلامًـا لا يهم القـارئ ولايفيـده، ورأيت أنه من باب الاحـتـرام والأدب عدم ذكـر هذه الأمور الخاصة، فـهى فضول ولغـو فارغ.

ود. مصطفى كاتب كبير ورمز من رموز الإسلام، إنه ليس مغنيا ولا لاعب كرة ولا يمثل فى حلقات فوازير رمضان. ولا.. ممَّن يكتب عنهم أخبار في الحقيقة تدخل فى نطاق الغيبة والنميمة، مما يقرأه الناس فى أخبار النجوم، والنجوم يا أخى إذا أردت أن تعرف من هم؟ هم صحابة رسول الله ﷺ قال ﷺ : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم، اهتديتم» فانظر على من صارت تطلق هذه الصفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ووجدت حرجاً كبيرا فى أن أفتح د. مصطفى فى الأحاديث الفضولية التى وردت فى هذا الكتاب عنه، ولكنى قلت له: سوف أخوض معك فى أمور خاصة من منطلق حبى لك وغيرتى على مكانتك بين القراء والشباب خاصة؛ فأنت قدوة للصغير والكبير ورمز من رموز الإسلام.

قال: ماذا تقصد؟

– الكتاب الذي وضعه فلان عنك فى شكل حوار وقال كذا وكذا.

– حصل أننى قلت له بعض ما ذكرت ، لكنه صحفي (هجَّاص) لم يكتب باحترام، وبعدين يا سيدى أنا إنسان خطَّاء ومذنب لا أنزه نفسى عن الخطأ كما يفعل بعض الكتاب، كما أننى لا أهتم بما يقال عنى، فقد قيل أكثر مما ذكرت أنت، أنا لا أرد على أى إنسان يهاجمنى، ليقل من يشاء عنى ما يريد، أنا لا أقيم لهذا الموضوع أى وزن. فوّت يا عم أحمد فوّت لا تقف عند هذه التفاهات والصغائر ، والكتاب الذى تعنيه، كتاب للتسلية لا أكثر، خبطة صحفية كما يقولون، أنا لم أرد على د. بنت الشاطئ التى كتبت ٤٠٠ مقال تهاجمنى ، فهل تريد منِّى أن أرد على هذا الكلام الفارغ؟!

وهذا يا أخى شأن أهل الله.

يقول ابن عطاء فى الحكم: «غَيِّب نظر الناس إليك بنظر الله لك، وغب عن إقبالهم عليك، بإقباله عليك».

والهجوم على د. مصطفى له سبب واحد، هو دفاعه عن الإسلام والمسلمين فى كل مكان، ولا يوجد سبب آخر، فنحن فى زمن ترويج الفساد والضياع ووأد الأخلاق فى مهدها.

والاهتمام بالناس من أكبر القواطع فى طريق الله، يسميهم أهل الله حراس الحضرة: مثل الشياطين يمنعون المريد من الدخول على الله، ما لم يهملهم وينفذ من دائرتهم، فمن يراعى الناس يتكلف لهم حتى يرضيهم، فقد عبدهم ولم يعبد الله، وإرضاء الناس مستحيل ، فكلهم أغراض وأمراض نفسية، إذا كان الناس لا يرضون عن الله، ويسخطون على أرزاقهم وأقدارهم التى أرادها الله لهم فهل يرضون عليك، فلا تسعَ إلى المستحيل ، فتُهلك نفسك وتُضيِّع حياتك ووقتك.

وليس المقصود عدم مساعدتهم إذا احتاجوك، بل يجب إعانتهم ودفع الضر عنهم، وجلب الخير لهم، ولا تنتظر منهم شيئا. ولكن لكل شئ حد تقف عنده، فلا تكلف نفسك أكثر من استطاعتها، فتظلم نفسك، ونفسك أقرب الناس إليك، وظلمك لها، أكثر ذنبا من ظلمك للناس، وهناك أصناف من لئام البشر لا ينفع معهم إلا الشدة وإهمالهم تماما، وكلٌّ من قطعك عن طريق الله فهو عدوك، ولو كان أخاك أو أباك، أو أمك وأكثر الناس جهلة لايعرفون الله، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦] فتخلص يا أخى من هذه الآفة بإرضاء الله ولو كان فى رضاه سخط جميع الناس عليك، فالله هو الذى ينفعك ويضرك والناس موتى فى صورة أحياء لا نفع منهم ولا ضرر.

٧ - الـزهـــــد :

ومن البصمـات الصوفية في حيـاته رضاه بما قسم الله له فى الأزل حـتى فى بدايات حـياتـه وهو صغـيـر، نقـول عنه (الطفل الزاهد) فقد كان يذهب إلى المدرسة سيرا على الأقدام، وكان يزور أقاربه فى القرى المجاورة لطنطـا وهو يركب الحمار، يقول: «كنت وأنا خـارج من المدرسة أرى السـيارات تنتظر زمـلائى. ولم يكن لذلك أى تأثيـر فى نفسى رغم أنى كنت صـغيـر السن، ولم أحلم بأن امتلك سيارة أو فيـلا، ولم أفكر أن أكون غنياً يوما ما، ولكنى كنت أتطلع إلى تحقيق القيم النبيلة والمثل الـعليا، والخير والفضيلة فى نفـسى». وحتى الآن، حين ذهبت إليـه فى مـسكنه بالمهندسين كنت أتصور أنه يعـيش فى شقة فـاخرة أو فيـلا ، ولكنى وجدته يعيش فى شقـة صغيرة، تكاد تكون حجرة وصـالة، ملحقة بأعلى المركز الإسلامى ، وهذا هو الزهد، ظاهرا وباطنا، وقـد سمعت من أهل الله ورأيت منـهم، من يسـتطيع أن يعـيش فى قـصـر، ولكنه يعيش حياة كلـها تقشف، لتهذيب نفسه، ومنـعها من الزكون إلى الدنيـا، وهذا لا يمنع أن يوجـد من أهل الله العـارفين الأكـابر من يعيش في وضـع يشبه حـياة الملوك، وفى نفس الوقت لا يغفل عن الله نفسا واحدا، ويترقى فى مـقامات الولاية فى كل أوقاته، وكان سـيدنا أبو الحـسن الشاذلى صـاحب تجارات ومـزارع واسعـة، والإمـام الليث بن سعـد فقـيـه مصـر فى زمانه، كـان أثرى أهل عصره. ولكن هؤلاء قلة، وأغلب أهل الله يفضلون التقشف المعتدل أو قل الحياة العادية.

وأخبـرنى أخى فى الله د. محمـد مهنا الرجل المبـارك الصالح المتواضع أنه قابل فى فرنسا، فى باريس شيخا للطريقة الشاذلية، كان أستاذا بالجامعـة، وسفيرا لفرنسا فى هولندا، زاره فى منزله الفاخر بباريس. فكان يستقـبل ضيوفه فى صالون المنزل المؤسس

بأساس من أفخم ما يكون، ويقدم لهم أشهى الأطعمة ، ولكنه كان يخصص حجرة فى منتهى التواضع لنفسه، وينام فيها على حصير.

٨- حب العزلة :

د. مصطفى يحن دائما إلى العزلة، والخلوة مع نفسه، والتأمل ومحاسبة نفسه من وقت لآخر، حين ناقشته فى مسرحية المسيخ الدجال قال: كتبتها فى ألمانيا، فى جبل فوق مكان يسمى الغابة السوداء، صمت رهيب، وعزلة جميلة ووحده مطلقة، لا تسمع ولا ترى أحدا ، وهو جو محبب لنفسى جدا، قلت: معنى هذا إنك فى سفرك إلى الخارج لا تقوم بإلقاء محاضرات أو عمل ندوات تتحدث فيها عن أفكارك؟ قال: لا أفعل هذا لا فى الداخل ولا فى الخارج، ولا أحب الوقوف على منصة أمام جمع من الناس ومناقشتهم.

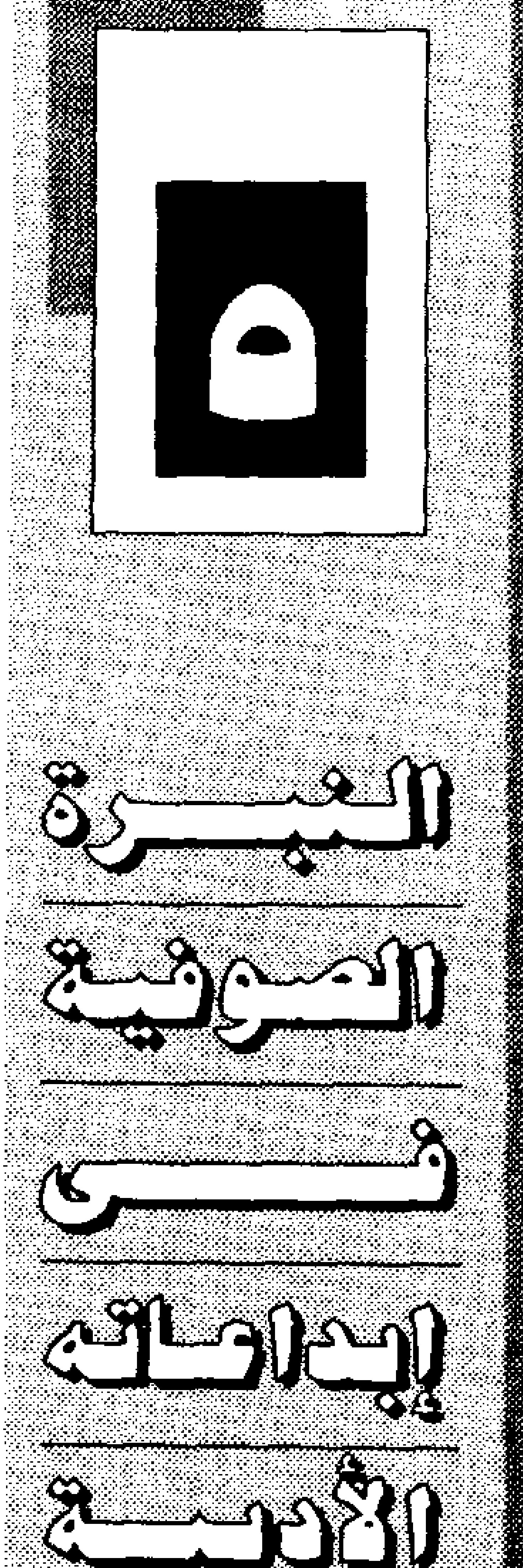
والمناظرة الوحيدة، التى اشتركت فيها، كانت فى الخمسينات في الجامعة الأمريكية، بينى وبين أحمد بهاء الدين، كان هو يمثل التيار الشيوعى، وأنا أمثل التيار الآخر. ولم أقم بعدها بإجراء مناظرات.

والبصمات الصوفية في حياة د. مصطفي كثيرة، لكن بعضها يمس حياته الخاصة جدا، ومن الصعب عليّ أن أتناول هذه الأمور لشدة احترامى وتقديرى له، ولأنه من أهل البيت، ومن عرف مقام أهل البيت الصالحين ، عرف كيف يكون الأدب معهم، ويا سيدى يا رسول الله عليك صلاة الله وسلامه أرجو أن يكون هذا الكتاب الذى صنفته بعون الله لا بقدرتى لتعريف الناس بالجانب الصوفى فى حياة واحد من أهل بيتك أرجو أن يكون من باب (المودة فى القربى) وأن يتقبله الله تعالى وأن يكون حجة لى، لا حجة عليّ يوم القيامة.

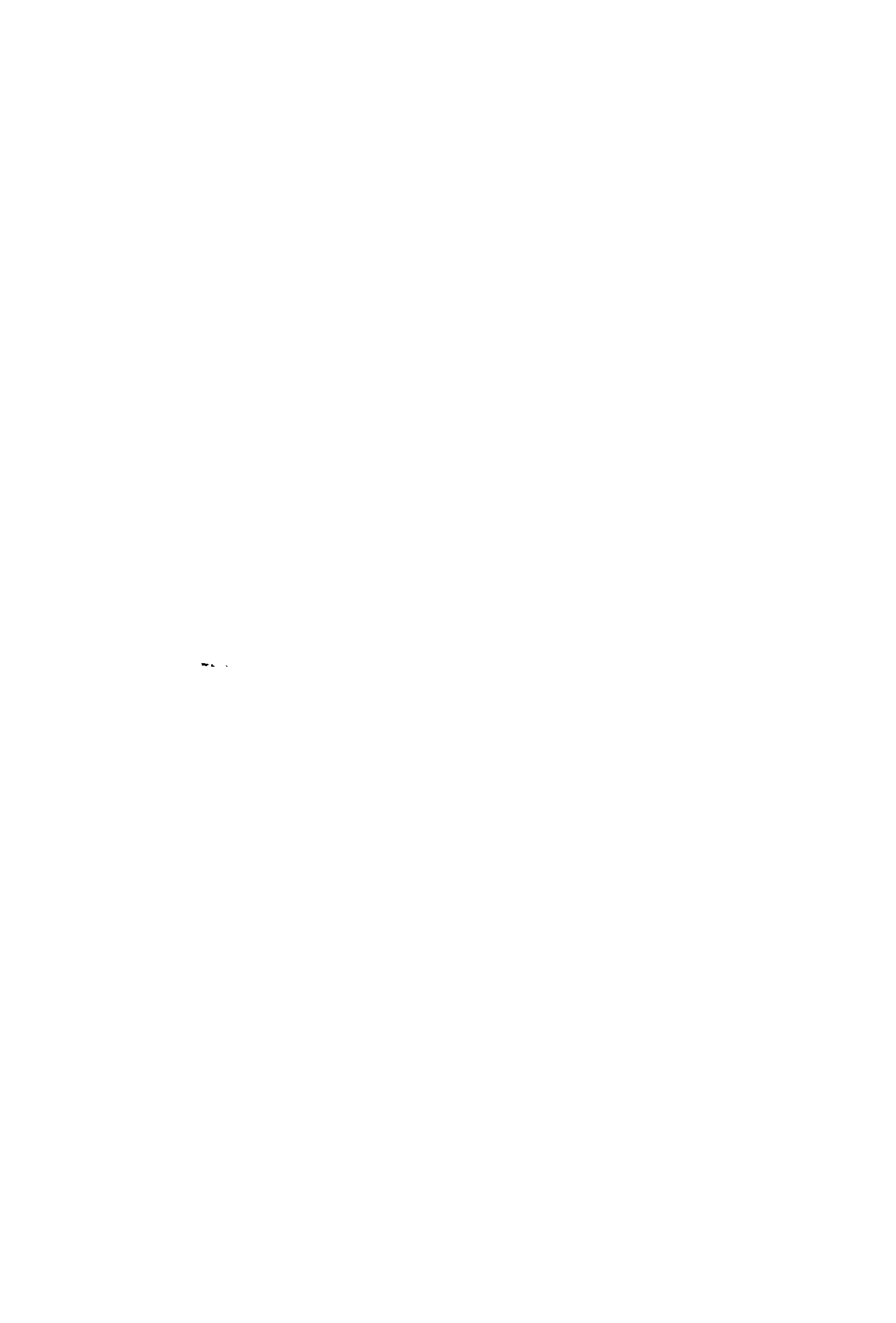


د. مصطفى محمود

والتصـــوف



النبـرة الصوفية فـى إبداعاته الأدبيـة



نحن نتكلم مع القراء الذين يشتغلون بقراءة الأعمال الأدبية الجادة والتى تحوى مضمونًا مفيدًا للقارئ فى الدنيا والآخرة. لا مع كل قارئ ولا مع الذين يشغلون أنفسهم بالتسلية، من أراد التسلية فعليه (بقزقزة) اللب والسودانى، فربما يشبع بطنه بهذه التسلية فيستفيد (حاجة)، وكذلك قراء أخبار الكواكب والمجرات والنجوم والتخوم والألغاز، وحل الكلمات المتقاطعة، وكذلك الجيل البائس الطالع من دمائنا، والذى مازال يطالع سلسلة الروايات البوليسية وحكايات الرجل الأخضر والأحمر والأصفر، مازال يقرأ ذلك وهو فى الجامعة وعلى أبواب التخرج، مازال يطالع قصص الرجل الخارق ، والفاسق، والسارق، والمارق والسوبر مان. ورجل الفضاء والشقاء والعناء، ويشاهد مسلسلات قتل الأخلاق وفساد النيات، مثل الجرئ والجميلات، والدنئ والعاهرات القبيحات الفاجرات، ونقول للأسر المصرية، بصّروا أولادكم، بعد أن تبصروا أنفسكم، فهذه الكتب والمجلات ليست مصدر علم وتوسيع خيال الذى خلقه الله فى قوة الإنسان المعنوية، وكيف ينميه، وما فائده الخيال وأنواعه وعظمته؟ وبماذا يتصل؟ وإلى ماذا يؤدى؟ آه لو عرف الناس ذلك، وسيعرفونه يوم القيامة ويقول بعضهم: (يا ليتنى كنت ترابا) ويقول البلبل الرقيق من شبابنا: يا ليتنى كنت غرابا، وهذه الكتب أسماؤها

الحقيقية: كتب الرجل المنحط وقتل الوقت. وليس السوبرمان، فهذا اللفظ يعنى الرجل الأعلى المتفوق على أبناء جنسه، العالى المقام، وهو العارف بالله، فلا تخدعكم الألفاظ، وتكونوا مثل الأنعام، ويسوقكم أهل التنوير والتزوير إلى أودية الهلاك كالأغنام.

سألت د. مصطفى . ما هى الكتب المفيدة والفن المفيد عموما؟

قال: الأدب والفن عموما ينقسم إلى قسمين: قسم نسميه فن قتل الوقت وهو الذى لا يغيِّر نفس القارىء إلى الأفضل، ويبث فيه الرذيلة والضياع، وفن إحياء الوقت وهو الذى يجعل وقت القارىء ثريا ومفيدا ويخرج منه بأمور نافعة فى الدنيا والآخرة.

وصية للأسرة المصرية:

يقول الصوفية: (الوقت سيف، إن لم تقطعه قطعك)، أى إن لم تقطعه فى الخير قطعك فى الشر، وإذا ضاع الوقت فى المباح فهو خسارة وحسرة وندامة عليك يوم القيامة، فكيف إذا ضاع فى اللهو والفساد؟ وإذا كانت الكتب المشهورة فى مجال الأدب، بعضها يدخل فى نطاق فن قتل الوقت وهى لكتاب عالميين بالمفهوم المعاصر، ونكرة ولا وزن لهم عند الله بالمفهوم الحقيقى، فكيف نغيرها؟ وكلَ كتاب لا يقرِّب الإنسان من الله ويعرفه بالحقائق الثابتة، ويرشده إلى الطريق المستقيم، ويفيده بمعرفة أحوال الدنيا وقيمتها. فقراءته لا تنفع، وهو كما يقولون من أنواع العلم الذى لا ينفع والجهل به لا يضر، وقد استعاذ رسولنا ﷺ من العلم الذى لا ينفع قال ﷺ: « أعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع ، وبطن لا تشبع ودعاء لا يُستجاب له» وأنت تقرأ لتعمل بما تقرأ، والعلم حجة لك إذا عملت به، وحجة عليك إذا لم تعمل به. ووقت الإنسان غال وأنفاسه عزيزة، وعمره هو رأسماله، فكيف تضيعه يا أخى؟ هل إذا ملكت مبلغا من المال، تسير فى الشارع

وترمى به على الأرض، لا يفعل ذلك إلا إنسان مجنون، والوقت أثمن من المال لو عرفت الحقيقة. ونوصى الأسرة المصرية، التى تجد فى أبنائها حب القراءة أن تحثهم أولا على قراءة كتب د.مصطفى محمود، ولا نجامل الرجل، ونحن نتحدث عن قراءة الأدب والتنوير كما يقولون. وإلا فالأساس هو قراءة كتاب الله والسنة، أولا وأخيرا، ولكن كيف نسحب أولادنا من الضياع تدريجيا ، نحاول أن نشفيهم من الأمراض الفكرية، التى تجرعوا سمومها من الكتب التى ذكرناها فى بداية هذا الفصل، بأن ندخلهم فى حيز العلاج بقراءة مؤلفات د. مصطفى محمود. فهو يدعو إلى تغيير النفس، ويبصر القارئ بما ينفعه، ويحذِّره من مضمون الروايات والقصص الفاسد والذى وضعه كتاب حازوا على أعلى الجوائز العالمية. وانبهر بهم أولادنا، وأصبح الواحد منهم يضع رواية الغثيان، أو السأم، أو الصخب، والعنف تحت إبطه ويسير مختالا، ويظن أنه مثقف، والثقافة معناها فى معاجم اللغة: التأديب والتهذيب، وجمع المعلومات التى تحسن أخلاق الإنسان وتهذب نفسه . فإن أردت أن تكون مثقفا فاعرف هذا المعنى واعمل به، واجعله أساسا لتثقيف نفسك. ونحن نخاطب الأسرة المصرية الحريصة على الحياة الحقيقية قال تعالي: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] حياة الخلود الأبدية، المستقبل الذى يجب أن يسعى الإنسان إلى تكوينه، وما أعطانا الله هذا العمر القصير، لا لنعمر مستقبلنا الدائم فى الآخرة، بعمارة الدنيا وعبادة الله واتباع الكتاب والسنة، أما من أخلد إلي هواه، وغفل عن مولاه، واشتغل بدنياه، (فليترك على عماه، ويُصفَع قفاه) كما قال الشيخ الأكبر ابن عربى .

النبرة الصوفية :

هى الإرشاد إلى الطريق المستقيم، والصراط القويم، بنداء خافت هامس، معتدل، إشارى، مؤثر، وواضح فى نفس الوقت، يجعل القارئ بعد أن يقرأ الكتاب يعود إلى نفسه ويحاسبها، ويراجع حياته وأفكاره واتجاهاته وهدفه، ويعرف أنه إن عاش الدنيا للدنيا فقط فحياته لا قيمة لها بالمرة، وأنه يعيش فى وهم وخيال فاسد، ومتع زائلة وزائفة وقليلة جداً، وهى ليست متعًا فلا تخلو أبدا من التنغيص والكرب والتعب فى النهاية. والحياة المثمرة التى لها قيمة عالية ومعنى عظيم هى الحياة فى طاعة الله، والتحلى بمكارم الأخلاق، وجهاد النفس، واكتساب صفات الزهد والصبر، والتوكل، والرضا والقناعة ووزن الأمور بالميزان الشرعى، والاقتداء بأسوتنا الحسنة الرسول محمد ﷺ واختيار الرفيق الصالح. يقول ابن عطاء الله السكندرى: «لا تصحب إلا من ينهضك إلى الله حالهُ، ويدلك على الله مقالهُ»، باختصار يعرف الإنسان قيمة حياته، ولماذا هو موجود، وما هو المطلوب منه. وهذه النبرة الصوفية، لا يخلو أى كتاب من مؤلفات د. مصطفى محمود منها.

مدخل لقراءة مصطفى محمود :

انفرد كاتبنا بطريقة متميزة فى دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة، والدعوة إلى سلوك الطريق الصوفى لمن يقدر على ذلك، من خلال إبداعاته فى القصة والرواية والمسرحية، ولتأثره بالعلم الحديث والتقدم التكنولوجى، قال فى نفسه: لماذا نترك هذه الوسائل فى أيدى الجهلة والملحدين والمفسدين فى الأرض؟ وتصدًى لهم، ودخل ميدانهم، والحقيقة يا أخى إن كل وسائل العلم الحديث، من تليفزيون ، وسينما وإذاعة وأقمار صناعية،

وكمبيوتر، هى من علم الله المخزون فى اللوح المحفوظ فلا علم إلا علمه سبحانه وتعالى : ﴿ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء﴾ وينزل الله علمه بقدر على من شاء من البشر، كل واحد حسب استعداده واجتهاده وقبوله، وكل هذه العلوم الحديثة أنزلها الله لنفع عباده بما يلائم هذا الزمان، ولكن النفوس المريضة الملحدة، استخدمت هذه النعم فى نشر النقم، وخاض الدكتور مصطفى طريقا صعباً حين وضع نفسه فى هذا المجال، ولذلك نضع أمام القارئ، ما يراه كاتبنا مناسبًا لفهم إبداعه أو بمعنى أدق رأيه فى كتاباته، وتقييمه لرسالته من خلال عرض مختصر كتبه، كمقدمة لمجموعته القصصية (المسيخ الدجال، التى نشرها عام ١٩٧٩، والمجموعة تبدأ برواية ، أو قل مسرحية تشبه إلى حد كبير مسرحيته الأخيرة زيارة للجنة والنار).

يقول مصطفى محمود:

ليس ما كتبت ديناً ولا علماً، بل هو فن وخيال وأسطورة وإطار فانتازى.. لنقد شخصيات وآراء ومذاهب ، وآرائى قد تخطئ وقد تصيب، وقد نكون فى هذا اليوم المشهود (يوم القيامة) أسوأ حالا من كلٍ من نقدناهم، نعوذ بالله من المقت والإبعاد، إن ما أكتبه فن، فن خيِّر، الهدف منه التحبيب فى الخير والتنفير من الشر، وأنا لست رجل دين ، بل أنا فنان دخلت إلى رحاب الدين من باب الفضل الإلهى، والفن كان دائما ضعفى وقوتى، وكل ابن آدم خطاء، ولهذا لم أدَّع لنفسى العصمة ودائما أراجع ما أكتب . فإن رأيتنى كتبت صوابا فمن الله، وإن كتبت خطأ فمما سولت لى نفسى، بهذه الروح أحب أن يقرأنى الناس، فما تصورت نفسى أبدا مفسراً للقرآن، أو حاكما فى قضية فقه أوشريعة، إنما هى محاولات فهم من مفكر، دوره لا يزيد على إثارة العقل وإخراجه

من رقاده، وإيقاظ القلب، وتفـتيحه على محبـة الله، فإن استطعت أن أعيـد رجلاً ابـتعـد عن الحق، إلى الطريق المستـقيم وإلى فـتح المصحف فهذا أقصى مرادى، أمـا تفقيه هذا الرجل فى الدين فهذا دور العلماء المتخصصين. وحسبى أنا، أنى قد جئت به إلى بابهم، وأيقظت استعداده، فما أنا بالعالم ، بل أنا مجرد فنان ينتهى دوره عند إثارة حب الحـقيقـة فى قلب القارئ. وفـى هذا فليحاسـبنى القـراء والنقاد لا أكـثر، فلا يحـاسبنى أحـد على أننى فـقيه مـثل الشافعى وابـن حنبل، وأبى حنيفة، بل فنان يتحـدث عن الله بلغة جديدة فـيهـا جلوة الفن، لجذب الفـراشات المبـتعدة الغـافلة، التى لم يكن من الممكـن أن تصل إليهـا لغـة ابن حنبل أو أبى حنـيفـة، والفن أعظم جهاز دعاية للدين. بشرط تطهـيره من العرى والعهر والهزل والفحش. بل نقدم فناً يدعـو إلى الخير والعدل والحق، فنًا يقدم هذه المضامين العالية، وتلك هى رسالتى . أ. هـ.

استعداده الصوفى فى إبداعه:

الكتب التى ألفـها كاتبنا قـبل صحـبته للصـوفيـة عام ١٩٦٦، لا تخلو من نبـرة صـوفيـة. لكنهـا خفـيـة جدا، ونادرا مـا تكون واضحة؛ فرواية (المستحيل) التى كتبـها عام ١٩٥٩م تدور حول البحث عن النفس وسـر العذاب الإنسانى هو عدم معـرفة الإنسان نفسه.ويقول أهل الله « مَن عرف نفسَه عرف ربَّه ».

سألت د. مصطفى: ماذا تريد أن تقول فى رواية المستحيل؟

قال: مـستـحيل أن يكون الإنسـان إلا نفسـه، لايمكن أن يكون إنسانا آخر غير نفسه، وما كمن فيه.

ونستمع إلى المرحوم يحيى حـقى الناقد والأديب الكبير يقول: أثارت قصـة المستـحيل بمجرد ظهـورها، اهتمـاما غيـر قليل لدى المشـتغلـين بالأدب. فهى أول قـصـة طويلة يكتـبهـا د. مـصطفى

محمود، الذى أكد رسوخ قدمه فى القصة القصيرة. وأثبت أنه من ألمع كتاب الجيل الجديد وأوضحهم أصالة وصدقا مع النفس. والكاتب يتمتع بشخصية جذابة هذا الفتى الأسمر النحيل، مثال مجسم للذكاء والرقة والحياء وحسن الأدب، بين جنبيه روح معذبة تحترق ، لا فى سبيل عرض الحياة الدنيا والمادة، بل فى سبيل المثل العليا للجمال والخير والصدق. والمستحيل قصة جوانية ، عمودها الرئيسى عالم النفس والشعور، وهموم الروح، وهذا نوع جديد نفتقر إليه ثم نغفله، رغم زعمنا (أهل الشرق) أننا أمناء على تراث روحانى لا مادى، إنه يفسح المجال الضيق الذى يحبس قصصنا فى العالم الدنيوى وهذا سبب محليتها، فالعالمية هى لغة الروح الإنسانية، والمستحيل قصة عنيفة تعالج مأساة النفس الضائعة والبحث عنها، وهى مأساة إنسانية خالدة، والعكوف على النفس وتأملها، وهذا الطبع الإنسانى يفضى إلى الحزن الوديع الذى يعرفه الصوفية أ.هـ [1].

والقصة تحتوى على مضامين صوفية نترك للأستاذ يحيى حقى استخراجها حتى لايقال عنى أننى ألوى المضمون وأستخرج منه نبرة صوفية (بالعافية) ويحيى حقى أديب وليس صوفيا يقول:

١- إحدى بطلات القصة (نادية) لا ترضى بحب يبنى على الخيانة؛ وهذه دعوة إلى العفة وحفظ الزوج فى غيابه وحضوره على عكس ما نقرأ فى الروايات الأخرى.

٢- (الخلاص ليس من صنع الإنسان ولا يتوقف على سعيه وجهده وإرادته) وهذه ليست نبرة بل ركن السلوك الصوفى وهى عدم الاعتماد على النفس بل السلوك بالله وعونه وبدون الله لا خلاص ولا سلوك.

---

(١) خطوات فى النقد، يحيى حقى- ط دار العروبة القاهرة ص ٢٨٠ وما بعدها.

٣- (باب النجاة هو الإيمان بقدرة عليا والرضا بأحكامها)
والرضا من مقامات السلوك والإيمان بقدرة الله والتمسك بحبه هو أساس الكتاب والسنة.

وهذه شهادة يحيى حقى ، كناقد أدبى، وتكفى هذه الشهادة بوجود النبرة الصوفية فى رواية المستحيل.

النقد الأدبى :

مجال النقد الأدبى واسع، وله أساتذة متخصصون، ولكنه لا يغنينا كثيرا فى تناول النبرة الصوفية، فدراستنا تهتم بالمضمون لا بالشكل والقالب الفنى، ولن نتطرق إلى الحديث عن الحبكة القصصية واختفاء المعانى بين السطور والأسلوب الخطابى الذى يفسد العمل الفنى وإقحام الكاتب نفسه فى القصة، والمهارة فى اختيار الألفاظ، واللغة الشعرية والحدث المناسب، وقد اشتغلنا بكتابة القصة لعدة سنوات ونعرف أصول الإبداع، ونقدر على تناول إبداع كاتبنا من هذا الجانب، لكنه سوف يشتت القارئ ويضيع الهدف الذى نسعى من أجله فى هذا الكتاب.

ويقول النقاد: ليس الأدب وعظًا وإرشادًا وأمرًا ونهيًا مباشرًا، وأن لا تكون النهاية فى العمل الأدبى تقريرية وعظية، ويقولون بعدم إقحام حدث آخر على الحدث الأساسى، وأن لا تكون الفكرة سافرة صارخة وأن تلعب المناظر الطبيعية دورها فى العمل الفنى. وأهمية وحدة الفعل والزمان والمكان. وعنصر التشويق والخيال والإثارة وعدم تكرار الأفكار، وصدق التجربة، والتلاحم بين البداية والنهاية وعدم تفسير الرمز الفنى وترك القارئ يكتشفه بنفسه (وكأنه مقام من مقامات الولاية والعلم المضنون به على غير أهله) والمنولوج الداخلى وتيار الوعى، وتقسيم الإنتاج الأدبى إلى واقعية تقليدية وهى الوعظ والنصح الخالى من الفن، وواقعية

حديثة، وهى التى يتدفق فيها تيار الرمز والشعر والتلميحات، إلى غير ذلك من أصول الإبداع والنقد. وهذه وظيفة أهل هذا الفن، ونحن معهم إلى حد ما، ومؤلفات د. مصطفى لا تخلو من هذه القواعد رغم وضوح رؤيته للقارئ.

ورغم أن النقد الأدبى له أصول وقواعد سليمة راسخة ومُهمَّة، لكنها لا تهم القارئ العادى الذى نريد أن نعرض له الأفكار مثل الشمس فى وسط السماء، فلا ندخل به فى دوائر التعمية والتعتيم والغموض، ونقول إن القارىء مبدع ثانى كما يقول النقاد، فإن القارئ إذا لم يفهم قصد الكاتب ودعوته وهدفه فى وضوح، حتى يعمل به إن كان خيراً فقد أدخلناه فى دوَّامة لا مخرج منها، ولا يجنى من ذلك إلا ضياع الوقت الذى نحرص عليه، بل نحرِّض القارئ على استثمار وقته فى جهاد نفسه وإرضاء ربه.

ونرفض ما يقول به بعض النقاد بتأثر د. مصطفى بجيمس جويس صاحب رواية عوليس ونضع أمامهم قول الكاتب ليونيل ترلنج فى كتابه (فرويد والأدب) : لقد أمعن جويس فى استخدام فرويد إلى أقصى الحدود، وقد خدع هو وغيره من كبار الكتاب بكلام فرويد من أن التراجيديا تستعمل علاجا للألم، وتحمل الآلام العظيمة أ.هـ وفرويد فى نظر د. مصطفى رجل مهووس جنسيا، يعيش فى مستنقع الأعضاء التناسلية.

واعلم يا أخى أن مضمون إنتاج أى كاتب هو مضمون نفسه، وما تنطوى عليه من أحاسيس ومشاعر وأفكار وأخلاق، ولايكون غير هذا أبدا، ومسألة الحياد فى الإبداع، أكذوبة كبيرة، ليس لها وجود فى الواقع، ونفس د. مصطفى محمود تنطوى على حب الله تعالى وحب رسول الله ﷺ وأهل بيته وصحابته، فمضمون ابداعه هو هذا الفكر الراقى الشفاف النورانى الذى ينبع من مشكاة

النبوة، وهو يحاول تقريب هذا الفكر للقارئ ، ومضمون أعماله تدور حول هذه الغاية العظيمة، مثل التعريف بحقائق الوجود، وكشف الكذب والخداع، وتزهيد الناس فى متاع الدنيا الزائلة، وكشف اللثام عن كنه الإنسان الذى كرمه الله. ومؤلفات كاتبنا، لا تقرأ للتسلية، بل تحتاج لقراءة ودراسة متأنية وجادة، حتى يخرج منها القارئ بفائدة تنفعه فى دنياه وآخرته.

المرأة والحب والزواج :

قد يسأل القارىء: وهل فى الحديث عن هذا الموضوع نبرة صوفية نقول له: الرؤية الصوفية، رؤية اعتبار، أى عبور من ظاهر الأشياء إلى باطنها وحقيقتها، رؤية تجليات الله فى كل شئ يتجلى الإسم الجميل، فى المرأة الجميلة، أحيانا باطنا، وأحيانا ظاهرا، وفى كل منظر جميل. وحديث أهل الله عن المرأة ليس موضوعنا؛ فإنهم يتكلمون عن أسرار وعلوم حضرة الانفعال إلهية، والتى تمثلها المرأة فى عالم الشهادة. ولما فتح الله على الشيخ الأكبر ابن عربى بهذه الأسرار قال: لولا النفوس الشهوانية المريضة، التى لا ترى إلا الجسد، لاسترسلت فى الحديث عن أسرار تكوين المرأة، وماذا يقابل كل عضو فيها من العالم الكونى؟ ولكن النفوس المحجوبة تمنعنا من ذلك، وهذه الأسرار والعلوم الإلهية هى سبب تحبيب الله للرسول ﷺ فى النساء. وقال الله عن المرأة إنها زهرة: ﴿ولا تمدنَّ عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقىٰ﴾ [طه: ١٣١] ويقول ابن عربى: من لم ير المرأة زهرة، ورآها جسدا، ولم يشم رائحة الزهرة منها فليس من العارفين المحققين. وللعارفين كلام وأسرار عن الزواج، هى من العلوم التى لا تسطر فى كتاب.

ونعود إلى حديث د. مصطفى محمود فى هذا الموضوع؛ يرى

د. مصطفى أن المرأة إذا لم تكن جـميلة الباطن، واكتـفت بمظهرها الخارجى، فهى فتنة كبيرة ، وقـاطع خطير لمن يريد معرفة نفسه، ومعرفة الله، والخلود إليها ضياع.

ويرى جمال المرأة عارية من عند الله، كـما يرى ذلك الصوفية، فـهى لا تملك جمـالها، والجـميلة لـم تجتـهد حـتى تكون جمـيلة، ولو كانت تملك هذا الجـمال لاحتـفظت به، لكنه يزول، فهـو يحذر الرجل من الافتتان بجمـال المرأة، وأن لا يجعلها كل حياته، وتدور أغلب قصـصـه القصيرة حـول هذا المحور. فهذا رجل يـقتل رجلا آخر لشدة غيرته وحبه لإحدى النساء، ثم يدخل السجن ٢٥ سنة، ويخرج، ليرى هذه الحسناء الفاتنة الساحـرة الطاغية الجمال، قد شاخت وترهل جسدها وتغضن وجهها، وخط المشيب فى شعرها، وكل شئ فيها تدهور، فـيتحسر فى نفسه، ويشعـر بالتفاهة، لقد ضاعت حـياته بسـبب غيرته الحـمقاء على مظـهر جمـيل سريع الزوال ، وزينة مؤقتة.

ويرى د. مـصطـفى أن المرأة التى لا تعـرف الله، ولا تـتـخلق بالأخلاق الفـاضلة، هى مثل سـائر النساء الغافـلات عن الله تكاد لا توجد ، المثقفة مثل الجاهلة، جميلة ورشيقة، أو كوم من اللحم ، لا فرق، تجيد الطبخ وإرضاع الأطفال أو تهـتم بشوبان وبيتهوفن ولوحات فان جوخ، المحصلة واحدة.

وتصويـر د. مصطفى لهـذا الموضوع فى قـصصه ، تـصوير (خفيف الدم) تمتزج فيه التراجـيديا بالكوميديا، وهو مايسمى فى الأدب بفن (الفارْس) فهذا أستاذ يحمل دكتوراه فى الذرة والعلوم النووية، من أمـريكا تزوج للمـرة الأولى من امرأة تجـيد تنفـيض السجاجيد، وإرضاع الأطفال وطهى البطاطس فى الفرن وكما هى العادة تجيد النكد. حـاول شدها إلى اهتمام مشتـرك يجمع بينهما ففشل فى ذلك.

ثم تظهـر فى حيـاته المرأة الثـانية وهـى دائمـا فى نظر الرجل المتزوج، ناعمة حريرية ، رقيقـة كالوردة، متألقة، وهى هنا أستاذة فى الكونسرفتوار حائزة على دكتوراه فى التوزيع الكورالى، ويتم طلاق المرأة الأولى والزواج من الثانية فيحدث الآتى:

تريد الذهاب لتـدور حول الهـرم وتسـمع شوبان فـيأخـذها ، وتعود آخر الليل مرهقة، وتبلع حـبة (فاليوم) وتنام، وبعد أن كان يحدثها فى التليفون* خمس ساعات ولا يشبع ولا تمل هى. يسألها ما لك؟ تقول:

– جوّايا تعبان، حاسة جوايا كـآبة، وظلمة وعتمة، وليل، الدنيا جـوايا ظلمة أوى، عندى صـداع، مش شـايفاك، ولا شـايفة حـد، نفـسى أقعـد سنين لوحدي، كـيـانى مسـروق، بدوّر على عنوان نفسى مش لاقياه، مـشيت فى الشارع الغلط، عندى انغلاق ذاتى، وتقلص نفسى وانـكماش روحى، حاسـة الشمس بتغـرب جوايا، عايزة أموت، فيه حاجة بتسوينى بالأرض.

وتنتهى القـصة بقول الأستـاذ الجامعى: وهكذا طلقت الثـانية، طلقت الثقافـة الرفيعة والدكتـوراه والهارمونى والتحفة الجـمالية التى ظنّت فى لحظة أن أقـصى أملها أن تعـيش معى فلمـا عاشت معى رأيتها تهرب منى وتعيش فى غيبوبة الفاليوم.

يا سـادة يا كرام أنا الآن أبـحث عن بائعة فـجل أو جـرجيـر، إنسانة على الفطرة لأتزوجـها وأعيش معها علـى الفطرة البسيطة التى خلقهـا الله، ليس عندها انفتـاح وانغلاق استـبطانى، أنا أعلن على الملأ أننى رجـعى جـدا وبدائى. هذه هى قـصـة (البـحث عن زوجـة) لخـصناها بإيـجـاز من كـتـاب المسـيخ الدجـال ص ٩٨ وما بعدها.

فالدكـتور مصطفى الذى اسـتقى معـرفته مـن الكتاب والسنة

ومؤلفات العارفين الكبار، وعايش الواقع الاجتماعي، وسرت في قلبه الحقائق الإلهية، يرى أن انحصار الرجل في دائرة المرأة أو انحصار المرأة في دائرة الرجل، وتصور أن ذلك يجلب السعادة، هذا انحصار في طوق ضيق من متع الدنيا، وتصور ساذج وسطحي، تصور إنسان جاهل غائب عن حقيقة الحياة، فالراحة مع الله فقط إذا كنت مع الله ، فكل ما خلق الله في خدمتك، وإذا كنت مع غيره كنت عبدا لكل شئ وتخبطت في حياتك ، حتى يأتيك الموت.

الحب :

يرى كاتبنا أن الحب لا يكون إلا لله، والصلة بين الرجل وزوجته صلة مودة ورحمة، وهي التي تدوم، وما يتصوره العاشقون حبًا ما هو إلا شهوة، مغلَّفة بكلمة حب، والعاشق الذي لا ينام ولا يأكل، ويسقط عليك مثل مجنون ليلى، إذا تزوج من فتاته وحلم حياته وأمله الوحيد في الدنيا، وصنمه الذي يعبده، ألا تسمع في الروايات والأفلام المحب يقول لحبيبته: أنا أعبدك، وهي تردد نفس اللفظ، إذا تزوجا زال كل هذا الهيام، والتصور المريض ، يقول د. مصطفى: لو أن مجنون ليلى حصل على محبوبته ليلى، وتزوجها، لأفاق من جنونه تماما، ولعاد له عقله من أول كلمة من ليلاه وهي تقول له : ابنك عنده إسهال، وأنا طهقت وقرفت منك ومن أولادك. قطعا ستتبخر من دماغه الأطياف الملائكية ويلعن اليوم الذي نظم فيه قصيدة . ولربما قام يسب، وجلس على باب الخيمة وأنشد قصيدة يلعن فيها القمر والشجر وحياة مثل حياة البقر أما المودة والرحمة، والصلة بالله فهذه الأمور هي التي تفعل المستحيل ويضرب لنا د. مصطفى مثلا بزوجة الرسول ﷺ صفية بنت زعيم اليهود حيي بن اخطب. أشد

الناس عداوة للرسول، وفى حرب بين المسلمين واليهود قتل الرسول ﷺ أباها وأخاها، وكذلك قتل زوجها كنانة بن الربيع لكنها أسلمت وتزوجت من الرسول ﷺ وعاشت معه محبة وفية إلى أقصى الحدود، ويقف الإنسان حائرا مأخوذا أمام هذا الزواج. كيف تنمو المودة والرحمة عبر هذه الأضغان والعداوات.

كان الرسول ﷺ يدفع عنها كيد حفصة وعائشة حينما تدعوانها باليهودية فتأتى إليه باكية فيمسح دموعها، وتقول هى:

كيف تكونان خيرًا منى وأبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد.

وكتب السيرة تقول إن نسبها ينتهى إلى النبى هارون أخى موسى عليهما السلام.

وفى مرض الرسول تقف على فراشه دامعة العينين قائلة:

وددت يا نبى الله أن الذى بك بى.

وتتغامز زوجات الرسول من كلامها فيقول لهن: مضمضْنَ مِنْ تغامزكن بها والله إنها لصادقة.

هذا هو الحب الروحى ، الحب فى الله، ولو سكن هذا الحب، الحب فى الله ولا نمل من تكرار هذه الصفة التى هى ركن من الولاية، لو حدث هذا بين الأزواج، لكان للأسرة والأبناء شأنٌ آخر، غير الذى نراه الآن.

وظلت صفية على حبها للإسلام ووفائها لأصحاب الرسول ﷺ فأقامت جسرا بين منزلها وبين عثمان (رضى الله عنه) لتبعث إليه بالطعام وهو محاصر. لم تحب النبى ﷺ فقط، ولكنها أحبت الدين وافتدته بعمرها، إلى آخر لحظة من حياتها أ.هـ (كتاب – محمد ﷺ)

هكذا يعرض لنا د. مصطفى فكره ورؤيته النابعة من بصيرته

القلبيـة. وقد أطلنا الحديث فى هذا الموضـوع لأن الأسرة هى نواة الحـيـاة كلها، والـشيطان يقـف لها بالمـرصاد لتـفـريق الأزواج، وتشتيت الأطفـال وانهيار الكيان الذى بناه الله، لنعـبده من خلال المودة والرحمة والراحة.

إنسان هذا العصر:

وإن عـمل بما يسخـط الله فهـذه هى دنيـا اللهـو واللعب والتكاثر والتفـاخر، والسكَرة التى تُغيِّب عـقول الناس مثل الدواب، تفـاخر بالأكل والشرب والمسكن والصحـة والمال والولد والبنت.وكل متاع الدنيـا الزائل. والذى أعطاه الله لنا ليـخـتبـرنا فـيه، كـيف نعـمل ونتصرف فـى هذا البلاء العظيم؟ ولكننا للأسف الشديد. نتـفاخر بهذا البـــــلاء ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان ١٨] فهل نسعى إلى غـضب الله علينا، هل هناك حماقـة وغباء وبلاهة بعـد هذا الذى نفـعله؟ تتـفـاخـر الناس بمظاهـر الفـسـاد، فـهم لا يتفاخرون بالإنفاق فى سبيل الله والمروءة والعفة وحسن الخلق والقناعـة والرضـا. لا، إنهم يتـفـاخـرون بالإسـراف فى سـبـيل الشيطان، هذا يـتفاخـر بأنه ذهب إلى المصيف الفـلانى وأنفق كذا من المال. وهذا يزهو بأنه أنفق على عـرس ولده أو بنته الآلاف بل الملايين من الجنيـهات فى ليلة واحـدة فى أفخم الفنادق إلـى آخر هذه المظاهر التى تدل على غفلة أصـحابها عن حقيقـة الحياة، وأن الإنسان مسئول أمام الله.

وحين نتناول النبـرة الصوفيـة فى إبداع د. مصطفى محـمود، لا نفـرق بين المقـال والعـمل الفنى، فكل كـتـاباته إبداع، وفى هذا يقول الأسـتاذ جلال العـشرى: إن د. مصطفى مـحمود يسـتخف

بمسألة الإطار الفنى فهو لا يهمه أن تكون إحدى قصص مجموعة (أكل العيش) مثلا أقرب إلى القصة القصيرة، بل إن الرؤية الفنية عنده كثيرا ما تكون قابلة للتناول على مستويين؛ فبعض القصص مثلا يمكن تحويلها بمجهود يسير إلى عمل مسرحى أ.هـ (١).

ويرى كاتبنا الدنيا من منظور صوفى، إذا لم يخرج منها الإنسان بالعمل الصالح والمعرفة الإلهية، كانت خدعة كبيرة، وخصوصاً إنسان هذا العصر، عصر القرود والصراخ ، والغفلة، وتكالب الناس على الدنيا، وتفاخرهم بها، وأصبح إنسان هذا العصر يعيش فى حيرة وضياع، والعثور على الحقيقة الآن أصعب من العثور على إبرة فى ظلام، وأجهزة الإعلام تغسل مخ الإنسان كل يوم والأخبار تضلله والإعلانات تستغله، والسينما والمسرح، والتليفزيون كل ذلك تقتل وقته، واختلطت الأمور، حتى فى اللحى، ترى غابات اللحى ولا تعرف ما تحتها، المشايخ لهم لحى والهيبز لهم لحى ومدمنو المخدرات لهم لحى، وصارت الدنيا بتقدم العلم، أكثر خداعاً وزيفا وكذبا، فأغرقت أفضل القيم فى الوحل والطين، ونزل الإنسان من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، وإن كان القليل من الناس أدرك الحقيقة، لكن بعد عناء رهيب.

يقول د. مصطفى محمود:

جهلت مقامى ونزلت عن رتبتى وترجلت عن فرسى الأصيلة لأركب توافه الأمور.. وأمشى مع السوقة، وأزحف على بطنى مع دود الأرض، استدرجنى الشيطان إلى بيوت القماش والورق وقدمنى إلى ناس يبتسمون للمصلحة، رجال وجوههم مدهونة ولساتهم ثعبانية، ونساء تغطيهن المساحيق فلا تبدو ألوانهن الحقيقية، عالم جذاب ، كذاب، يبرق بالكلمات، الأصوات كلها

---

(١) أكل العيش، مصطفى محمود. تقديم جلال العشرى- دار المعارف ١٩٩٢ ص١٠.

هامسة مبللة بالشهوة، تأكل الإيمان من الجذور.

تذكرتك يا رب وأنا أمشى فى هذا العالم، فشعرت بالغربة، ولم أجد أحدًا يكلمنى وأكلمه، يفهمنى وأفهمه، نبذونى ورفضونى كما نبذتهم ورفضتهم، ولكن سمعتك تقول:لبيك عبدى، حين صرخ قلبى يناديك، فاختفى ديكور القماش والورق، وذاب مسرح الخدع الضوئية، وعدت إليك، لا إله إلا أنت. و (أناشيد الإثم والبراءة ص ٧٩ وما بعدها)

وهذا يا أخى حال المؤمن الغريب عن وطنه السماوى، وطن الأرواح لا يجد نفسه إلا فى صحبة من هم مثله، أما مع أبناء الدنيا، فالحياة لا تطاق. يقول الصوفية: مجالسة أبناء الدنيا سم قاتل.

ويتحدث كاتبنا عن الغفلة التى أهلكت إنسان هذا العصر فيقول : هى غفلة عامة، غالبة، لا ينجى فيها علم ولا ثقافة، ولا دكتوراه ولا ماجستير، فتلك أبواب غرور تزيد من الغفلة، فالعالم يضع علمه فى خدمة هواه فتصبح بلواه مضاعفة.

ويمضى من العمر فى سلسلة من الغفلات والإغماءات مجموعها فى الختام صفر، معبود كل واحد نفسه، وكتابه رأيه، ودستوره مصلحته، فكيف النجاة من هذه الغفلة؟

يقول كاتبنا : النجاة فى الإيمان، القضية قضية إيمان، كيف نرى العالم، وكيف ننظر فيه، والخلاص أن تكون ذلك العارف الكامل، الذى لا يرى فى كل شئ إلا الواحد ، ولا يبصر إلا وجه ربه.

ذلك هو الجهاد الصعب ولا اختيار، ولا طريق آخر، فلنسارع إلى المجاهدة كى لا يمضى بنا كل يوم إلى نقصان، ويكون محصول حياتنا صفر، أ.هـ (أناشيد الإثم والبراءة ص ٥٥ وما بعدها).

عبادة الأوثان :

من النبرات الصوفية، عند كاتبنا انتشار الشرك الخفى، فالإنسان مازال يعبد الأصنام، وهو لا يشعر، نحن نسجد ونركع لأصنام لا حصر لها إنما اختلفت الأسماء، وتسترت الأوثان تحت ثياب الألفة ولكنها هى الأصنام بعينها.

[illegible]

عارية أو [illegible] مركزة على النهر ما بين النهدين.

فاترينة البضائع الاستهلاكية صنم، الكل يتهجدون ويسهرون الليل يصلون لها.

الديكتاتور الحاكم المطلق صنم، ومَن حوله بلاط الهتافين، والمصفقين والمنافقين والكذابين، يلقن الأطفال فى مدارسهم أنه الرزاق والمنقذ والمعين يُطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف، وعليهم أن يحفظوا كلماته.

وكبير الأصنام يا أخى، هو النفس، عبادة النفس، يقول أحد الصوفية لمريده: لا أذاقك الله طعم نفسك، فإنك إن ذقتها لن تذوق بعدها شيئا حلوا أبدا، وهذا لمرارتها عند أهل الله، وأنت يا أخى خُلقت لتعرف ربك وتعظمه وتعبده، لا لتحصل جاه نفسك وتعبدها، ونحن نعبد أنفسنا .

يقول كاتبنا: المرأة تعبد جمالها، والفنان يعبد فنه، والرجل يعبد أناقته، وصاحب الملايين يعبد ملايينه.

وعابد الله لايكون عبداً لله إلا إذا تحرر من هذه الأصنام جميعا، هذا هو الدين، أما ما نحن فيه فهو جاهلية وأوثان خفية أقامها عصر المادة فى قلوب الناس.

نقول : لقد ذهب الناس بعيدا جدا فى طريق الله، ومعرفة

حقيقة الدين، وما يراه د. مصطفى شركًا خفيًا، هو شرك ظاهر عيانا لأهل الله، الذين يرون أن التفكر في ضرورات الحياة وانشغال القلب بها، نوع من أنواع الشرك، حيث تدخل في قلبك الذي وسع الحق سبحانه وتعالى، صنما من أصنام الدنيا، فكيف يكون الاشتغال بما لا يعني؟! ونسوق الحكاية التالية ليعرف القارئ أن د. مصطفى يتحدث في بداية البداية في طريق الله، ويعرف أيضا: أين الناس، وأين أهل الله العارفين، وكما يقول النفّرى في مواقفه ومخاطباته:

«يا عبدى ، ميعاد ما بينك وبين أهل الدنيا، أن تزول الدنيا، فترى أين أنت وأين أهل الدنيا».

يقول الإمام أبى القاسم القشيرى:

«من خلوص الأحوال ما كان بينى وبين أبى الحسن الخرقانى؛ كان عَندى ليلة العيد، وكان نائما، فخطر ببالى لو كان عندنا سمناً لطعمنا اليوم كذا وكذا، وإذا بأبى الحسن وهو فى النوم يقول:

«ألق هذا السمن من يدك» وكررها ثلاث مرات.

فأيقظته من النوم وقلت له: ماذا حدث؟ وماذا تقول؟

قال: لا شيء . إلا أنى كنت فى النوم، كأننا فى موضع رفيع، وكانت إرادة الحق أن تظهر أنوار إلهية، ووقعت على الناس، وأنت معنا وبيدك سمن، فصحت بك قائلاً: الق السمن من يدك أ.هـ[1] فإذا كان مجرد التفكير فى الطعام . منع عطايا الله الخاصة أن تنزل بقلب عبده العارف بالله، فكيف يكون حالى وحالك وبقية الناس من أهل الغفلة، أهل هذا العصر.

---

(١) ترتيب السلوك فى طريق الله. الإمام القشيرى. ص٤٧.

العلم والجهل :

اعلم يا أخى أن أرقى مـا يصل إليه الإنسان فـى هذه الدنيا، أن يكون عبدا محضًا لله تعالى، وأعلى ما يحصله من العلم، هو العلم بالله ومواطن الآخرة، فهـذا هو العلم الذى يلازمك فى قبرك وفى البرزخ ويوم القيامة والحـساب وفى الجنة، وأى علم آخر ففائدته مؤقـتة، ولذلك أطلق الإمـام الغزالى على علم الطب صنـعة الطب، وصنعة الهندسـة وصنعة الكيمياء، وهكذا.. وهذا مـن غيرته على لفظ العلم، أن ينسب إلى غيـر أهله، وإذا كانت علوم الدنيا المفـيدة، ستفارقنا عند الموت، فـماذا نقول فى الثقافة، التى أصـبحت علامة على تنوير أطفـالنا، ماهى هـذه الثقـافة؟ هى إجـابة شبـابنا على الأسئلة التى توجه إليـهم على شاشة التليفـزيون الكريمة، وطلعته المبـاركة: من هو أحـسن لاعب كـرة هذا العام؟ ومن الذى حـصل على جـائزة الأوسكار؟ وآخـر أغنية لمايكل جـاكسون ومـادونا؟ ومعرفـة اسم المخرجين والممثلين والممثلات والأفـلام العالمية التى ينتجها الصهاينة ويسعى شبابنا البائس إلى معرفة هذه المعلومات بقـراءة المجلات (إياها) وأصـبح المثل الأعلى لأكثـر أولادنا، لاعب الكرة، والمغنى العالمـى، والمليونير تاجـر المخدرات والذين يسكنون الفيلات، ويضعون فوق سطحها (الدش) فكان الله فى عونهم.

ود. مصطفى له نفس الرؤية الصوفية للعلم:

فهـو يرى أن علوم الظاهر لا تمثل الحقـيقة، فـعلوم الغرب من كهرباء وذرة والتى تاه علينا بها وتعاظم هى علوم من أمور الدنيا. قال عنهم ربنا ساخراً مهوناً من شأنهم:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾

[الروم: ٧]

والعلم بالله هو أشرف الـعلوم. وهل كان شرف محـمد ﷺ إلا

بمعرفـته لهـذا العلم الرفيع، فـهو ذروة كل العلوم وأبعـدها منالا، لا يباح بأسـراره إلا لأهله ، وهم خاصة أهـل الله، وما أقل هؤلاء فى أمة المسلمين وهذا العلم هو الذى سيـرفع الله به الغمة وينصر الأمة، ويصحح الميزان فى آخر الزمان.

والعـارف بالله هو أقوى البـشر، لكن أين هو هذا العـارف فى عصر عجيب، انبـهر المسلمون فيه بلعبة اسمهـا الكمبيوتر؛ نسوا رسالتهم وسال لعابهم على لعبة.

العارفـون يا سيـدى الفاضل مـوجودون، لا ينقـصون، إذ هم المقـصـودون من وجـود هذا العـالم، وهم مـوضع نـظر الله فى الأرض، ولكن مـن البـلاء العـظيم، الذى عـم الكون، وأنزلـه الله بالناس ، جزاءً وفاقا واستحـقاقا أخفى الله العارفين وصانهم عن الظهـور، فلم يظهر منهم إلا الـقليل لإرشاد القلة البـاقيـة من أهل الله، المتعطشين لسلوك طريق الله.

ويرى د. مصطفى أننا كـبارا وصـغارا نجـهل حقيقـة الأشياء، لكثرة ما ألفناها وتعودنا عليها؛ يرى الابن الشجرة، فيسأل والده: لماذا سـميت شـجـرة يا بابا؟ ويسـقط فى يد الأب، وينهـر الطفل بشـدة، رغم أنه هتك سـتار الألفـة، وما أقـرب الفـارق بيننا وبين أطفالنا فى علمنا ومعارفنا.

ونحن نقـول لأستـاذنا د. مصطفى مـحمـود: إن الله هو الذى سمى الأشياء وإن كان هو يعرف ذلك، لكنه لا يريد أن يخوض فى الحقـائق الصعبـة لأن مدلول الأسمـاء من الأسرار الإلهـية، ولكن د. مصطفى آثر أن لا يبوح بهذه العـلوم لأنه يخاطب عامة الناس، ولكنى أرى أن ما دونًـه العارفون فى كـتبهم، إذا تمـكن أحدنا من تبسيـطه ولو بإشارات سهلة لتشـويق القارئ إلى سلوك الطريق، فلا مانـع من ذلـك، والشجرة سميت شـجرة من تشاجر فـروعها

وأغصانها، بتداخلها في بعضها. فهذا مظهر للشجار، والمشاجرة قال تعالى : ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾[النور: ٣٤] يقول ابن عربى: هى الأسماء الإلهية، والأسماء الإلهية تتشاجر بمعنى أن بعض الأسماء تضاد الأسماء الأخرى فى تأثيرها؛ فالمذل يضاد المعز، والرافع يضاد الخافض، والضار يضاد النافع، وعلى هذا النحو يكون تأثير الأسماء وتضادها، فى مرتبة حضرة التعدد والكثرة الكونية أما فى حضرة الوحدانية، فالأسماء واحدة، فالله هو الأول والآخر فى نفس الأمر، ففى هذه الحضرة لايوجد تضاد ، وهذا سر قول أبى سعيد الخرار حين سُئل: بِمَ عرفت الله؟ قال: بجمعه بين الضدين. قال هذا الكلام حين وصل إلى هذا المقام، ودخل حضرة الوحدانية، والله أعلم، فنحن نعرض كلام العارفين على قدر فهمنا.

ود. مصطفى يعلم هذا العلم جيداً؛ فمسرحيته عظماء الدنيا وعظماء الآخرة مستوحاة مما كتبه ابن عربى فى رسالته عن (المضادة) أى تجلى الأسماء الإلهية الحاكمة على النفس البشرية، وتدور المسرحية حول الاسم الظاهر الغالب على أهل الدنيا، والاسم الباطن الحاكم على أهل الباطن، أهل الله والعزلة والخلوة والتعبد، وهو الكلام الذى ذكرناه آنفا فى معنى (الشجرة) وتشاجر الأسماء الإلهية، وأنا مع د. مصطفى أنه علم مضنون به على غير أهله، لكنهم سطروه فى كتبهم، فلا يجب كتمه كلية، أما العلم الذى لايبوح به العارف، ولو قطع إربا، فهو علم آخر، يتلقاه فى حضرات إلهية خاصة جدا، ولا يدونه فى كتاب ولا ينطق به إلا لعارف فى مقامه.

هل الإنسان مسيَّر أم مخيَّر؟

هذه المسألة هى من أمهات العلوم النافعة جدا. ولا أبالغ إن قلت إن لم يكن فى إبداع د. مصطفى محمود إلا شرح هذه المسألة وتفهيمها للقارىء لكفاه ذلك، فجميع الناس فى حيرة من هذا اللغز، وقد قيل فيه الكثير، الإنسان مجبر فى قالب اختيار، الإنسان مخير فى إطار إجبار، ما تسأل عنه يوم القيامة أنت مخيَّرٌ فيه، ومالا تسأل عنه أنت مسيَّرٌ فيه، وكلها أقوال لا بأس بها، لكنها لا تحسم الموضوع برأى قاطع.

وأتى إلينا د. مصطفى محمود بفكرته التى أعتبرها من جواهر المعرفة، خصوصًا فى هذا العصر ، الذى يعيش فيه الناس فى حجاب وجهل، إلا ما ندر وكل الناس ترمى بمشاكلها، وأخطائها، وغبائها، وجهلها على الله تعالى إذا فشل الإنسان فى حياته، وخاصة أهل الطريق الصوفى الجهلة المدعين، إذا فشل الواحد منهم رمى بفشله وجهله وكسله على قضية القضاء والقدر ولايقولون هذا من باب معرفة التوحيد الذوقى، ولكن من باب التنصل من تحمل المسئولية ، والورطات الدنيوية التى يتسبب فيها الإنسان الأعمى القلب، الحاقد ، الجاحد، ثم فى النهاية يهز رأسه الذى يحمل عقلا أحمق ويقول: إحنا فى إيدينا حاجة؟ ربنا أراد كده إحنا غلابة، وإذا وقع غيره فى خطأ ، حمل عليه حملة شعواء، ووضع كل المسئولية على عاتقه. والصوفى المدعى الكذاب، إذا أخطأ ، لايندم ولا يتوب وهذا من هيمنة الشيطان على قلبه وربما ينطقه الشيطان بقول الإمام الجنيد الحفيد حين سئل: ما مراد الله من الخلق؟ فقال: ما هم فيه.

وهذا بحر عميق لا ساحل له، وهناك فرق كبير بين الإرادة والمشيئة وبين الأمر والنهى وكل الأحكام الشرعية، ونحن

مأمورون بتنفيذ الأمر الإلهى، ولسنا مأمورين بمناقشة مسألة الإرادة والمشيئة، فقد أراد الله وجود الكفر والضلال والمرض، والنقص، وأمرنا بالتوحيد والإيمان والهداية، والسعى فى الشفاء، وبلوغ درجات الكمال، ولا يفهم هذه الحقيقة إلا من تبحر فى علوم الكتاب والسنة وعرف الحقائق الإلهية، أما بدون ذلك. فعلى كل واحد أن يقف عند قدره ويكفَّ عن الناس شره.

ود. مصطفى يقول بالاختيار.. وإن الإنسان مخيَّر إلى درجة كبيرة ويعتمد فى فكرته هذه على علوم العارفين الأكابر، وقبلها على الكتاب والسنة ويبدأ كاتبنا بشرح فكرة (الأعيان الثابتة).

فيقول كما قال الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [٨٥- الحجر] .

أى ما أعطينا كل خلق نوعيته، إلا لأنه قَبِلَ ذلك، ونفسه لا تقبل غير صورته؛ فالخنزير لا يقبل إلا هذه الصور الخنزيرية، وإبليس لا يصلح إلا للغواية، والإنسان العارف بالله، استعد لهذه المعرفة بنفسه وهو (عين ثابتة) وهكذا بقية المخلوقات.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾

[الأحزاب- ٧٢]

كان كل شئ بعرض، وكل شيء باختيار، وكأنما كانت كل الحقائق معروضة، واختار كل شئ حقيقته، فقبلت بعض النفوس الحقائق الملكوتية، وقبلت النفوس الأخرى الحقائق السفلية التى تشاكلها. ود. مصطفى محمود يعتمد فى فكرته على علوم ابن عربى اللدنية، والتى ذاقها فى حضرات عروجه الروحى وحيث رأى وشاهد وذاق هذه العلوم، ويقول بها عن يقين. يقول ابن عربى: النفوس كلها كانت أعيانا فى العدم، ولها تشخص أزلى

قـديم لا يـعلم به إلا الله تعـالى، وأعطى اللـه كل شئ اللمـسـة الوجودية التى يستحقها، وكلام ابن عربى لايمكن إدراكه عن يقين إلا بالوصول إلى مقـام هذا العارف الكبير. وهناك فرق كـبير بين القول بقدم النفـوس وقدم الله، ولا مقارنة مثلما لا توجـد مقارنة بين قدرة العبد وقدرة الله وكلام العبد وكلام الله؛ فكل إنسان إذن اختار نفسه بكامل حريتـه، ويقول ابن عربى: من أطلع كشفا على هذه الحقيقة، وهى حرية الاخـتيار، فلايمكن أن ينكرها؛ فالإنسان مخيـر إلى درجة كبيـرة ، وقد اعتمـد د. مصطفى فى مسرحـيته (زيارة للجنة والنار) على حقيقة (الأعيان الثابتة) وسوف نتعرض لها حين نتحدث عن التصوف الخالص.

وإذا كنت يا أخى من أهل التوحيد والمعرفة والإيمان بالله تعالى فهل تتصور أن يجبرك الله على فعل شئ ، ثم يعذبك على فعله إن كان سيـئا؟ هذا الأمر لا يفعله إنسان مـؤمن صادق ، فكيف يفعله الله تعالى؟ ولكن الإنسان لايلوم نفسه ولا يراجعها.

ويقول د. مصطفى فى تأثير البيئة على الإنسان:

الناس يقعون فى خطأ أولى منـذ البداية حينما يقيمـون علاقة حـتـمـيـة بين البـيـئة والـسلوك، وبين تقـاليـد الأسـرة وتكوين الشخـصيـة، وهو تفكير خـاطئ ، فلا توجـد حتـميـة فى الأمور الإنسانية بل ترجيح واحتمـال؛ الابن الذى ينشأ فى عائلة محافظة محـتمل أن ينشأ مـحافظا هو الآخر هذا مـجرد احتـمال وكثـيرا ما يحدث العكس فنرى هذا الابن وقد تمرد على التـقاليد التى نشأ عليـها، وهذا هو الفـرق بين المسائل الميكانيكـية الآلية، والإنـسان، فالإنسان ليس كـتلة هلامية سلبية تشكلهـا حتميات البـيئة ولكنه إرادة صلبة لها حريتها.

وضغوط الظروف هى دليل علـى وجود الحرية وليس العكس،

ففى عـالم بلا عقـبات لا يسـمى الإنسان حـراً. فالحـرية تكشف نفسها من خلال العقبـات. والإمام أبو حامد الغزالى يقول: إن الله مخـيَّر مطلق التخـيير، والمادة الجامـدة مسيَّرة مـنتهى التسـيـير، والإنسان فى منزلة بين المنزلتين.

أى أنه مخيَّر بمقدار ومسيَّر بمقدار.

(فالإنـسـان حر مـطلق الحرية فى منطقـة السريرة والنـية أى القلب وهذه المنطقة حـرة، حررها الله من كل القيـود ، ورفـع عنها الحصـار ووضـع جنده خارجـها، فلا يدخل الشـيطان قلبك إلا إذا دعوته وفتحت له الباب، وقـد أراد الله هذه النية حرة ، لأنها مناط المسئولية والمحـاسبة، أما المنطقة التى يتم فيـها التدخل الإلهى عن طريق الظروف والأسباب، يمهد الله أسـباب الشر للأشرار، ويمهد أسـباب الخـير للأخـيار، كل واحـد حسب نيـته؛ فـالله يستـدرج الإنسان بالأسباب حتى يخرج ما يكتمه ويفصح عن نيته.

وفى إمكان الواحد منا أن يبـلغ ذروة الحرية، بأن تكون إرادته هى إرادة الله، واختـيـاره هو اختـيـار الله، وعـمله هو أمـر الله وشريعتـه، وهذا هو العبد الربانى الذى يقـول للشـىء كن فيكون، وكـما نعطى نحن من ذات أنفـسنا لمن نحب، كـذلك يعطى الله من ذاته لأحبابه فيحقق لهم ما يشاءون ، فيكونون الأحرار حقا) أ.هـ (الشيطان يحكم ص١٥٥ وما بعدها).

العذاب السارى فى الكون :

يقـول ابن عـربى فى أكـثـر من مـوضـع فى فـتـوحـاته، لفظ (العذاب) يمكن إطلاقه على التعذيب والألم والمعاناة، ويمكن إطلاقه على التنعم واللذة بمعنى عذب، فـقولنا ماء عذب أى جـميل وبارد حين نشـربه فيـروى العطش، ويذهب د. مـصطفى إلى هذا المعنى بقوله إن العذاب يعم جمـيع الناس، والراحة هى موقف النفس من

هذا العذاب وبمنتهى البلاغة والبساطة والواقعية يقول:

الذى يسكن الصحراء يشكو لأنه لا يجد الماء

وساكن الزمالك الذى يجد الماء والنور والتكييف والتليفزيون يشكو مر الشكوى من سوء الهضم والسكر والضغط.

والمليونير ساكن باريس يشكو مر الشكوى من سوء الهضم والسكر والضغط.

والذى أعطاه الله زوجة جميلة يشك فيها ولا يعرف طعم الراحة.

ففى كل طبقات البشر تجد نفس الحال، كلنا نخرج من الدنيا بحظوظ متقاربة، والأغنياء والفقراء محصولهم من السعادة والشقاء متقارب؛ فالله يأخذ بقدر ما يعطى.

ولو دخل كل منا قلب الآخر لأشفق عليه، ولما شعر بحسد أو بحقد ولا بزهو ولا بغرور.

والمغترون والفرحون مخدوعون فى الظواهر غافلون عن الحقائق، والعذاب قاسَم مشترك بين الكل.

سألت: د. مصطفى : ولكن هناك ناس سعداء وآخرون أشقياء؟

قال: السبب اختلاف موقف النفس من هذا العذاب والبلاء.

فأخذت أبحث فى مؤلفاته عن هذه الفكرة، فوجدت أنه شرحها شرحا وافيا وأوضحها بما فيه الكفاية.

يرى د. مصطفى، أن السعادة والشقاء يكمنان فى موقف الإنسان من الدنيا؛ هناك نفس تعلو على الشقاء وتتجاوزه وترى فعل الله فى كل شئ.

كما يقول الإمام عبد الكريم الجيلى فى عينيته المشهورة:

فكلٌ قبيح إن نسبت لفعله ... أتتك معانى الحسن فيه تسارع

يُكَمِّلُ نقصانَ القبيحِ جمالهُ ... فما ثَمَّ نقصانٌ ولا ثَمَّ باشع

وهذا موقف نفس الإنسان العارف الكامل الذى يرى تجليات الله فى الكون.

ونعود لكلام د. مصطفى يقول:

هناك نفوس تمضغ الشقاء وتجتره وتحوله إلى حقد أسود وهى النفوس المظلمة المحجوبة، الكافرة بخالقها المتمردة على أفعاله، وكل نفس تمهد بموقفها لمصيرها النهائى فى العالم الآخر.

وما تفاضلت النفوس إلا بمواقفها، لا بما يدور على الوجوه من ضحك وبكاء، فذلك هو المسرح الخادع الظاهر والثياب التنكرية التى يرتديها الناس، أما على مسرح القلوب وفى كوامن الأسرار، فلا يوجد متخم ولا محروم، بل عدل مطلق واستحقاق نزيه يجرى على سنن ثابتة لا تتخلف.

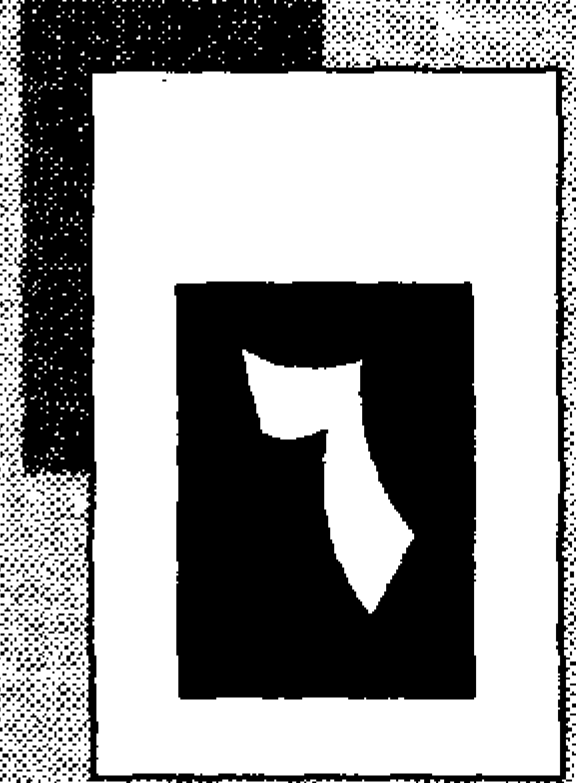
حيث يمد الله يد السلوى للمحروم والمسكين، واليتيم، ويقبض ويخفض ويطمس على بصائر المترفين الغافلين، ويؤرق عيون الظالمين، وتلك هى الرياح الخفية التى تهب من الجنة أو من الجحيم، وأهل الله فى راحة لأنهم رأوا فى أفعال الله عدلاً مطلقا، هم فى راحة القلب والعقل فأثمر لهم ذلك راحة البدن.

أما أهل الغفلة وهم الأغلبية الغالبة، فيقتلون بعضهم بعضا من أجل لقمة أو امرأة ومن أجل درهم وفدان أرض ولا يتجمعون إلا مزيدا من الهموم والخطايا، فانظر من أى طائفة من هؤلاء أنت وأغلق عليك بابك وابك على خطيئتك.



د. مصطفى محمود

والتصــــوف



التصوف الخالص في مؤلفاته

يقول د. مصطفى محمود فى حوارى معه:
من شيوخى المستورين أو كما يقولون (حال الوجدنة مع هؤلاء الشيوخ...) الشيخ الأكبر ابن عربى، والنفرى، وابن عطاء الله السكندرى، ويميل د. مصطفى إلى مذهب الوسطية والاعتدال فى الدين، ويمقت المغالاة والشطط والتطرف، وحين أهديناه كتب الإمام الرائد محمد زكى إبراهيم، كان أول كتاب يتناوله ويبدأ فى قراءته كتاب (الفروع الخلافية ومشروعية العمل بأحد الوجهين فيها بلا تصعيب ولا تأثيم)[1]، وهو كتاب يبين سماحة الإسلام ويسره واحترام الخلاف البناء ونبذ الخلافات التى لا قيمة لها وهو كتاب من القطع الصغير فى ١٢٥ صفحة لا غنى عنه لكل مسلم فى العصر الحاضر، الذى يموج بانقسام المسلمين، إلى جماعات وفرق، وانتشار الخلافات على أقل الأمور أهمية، وهذا ما يكافح د. مصطفى محمود بقلمه من أجل حل هذه المشكلة الخطيرة جدا التى أدت إلى كل الكوارث فى الدول الإسلامية، وسنبدأ هذا الفصل بكلمات موجزة عن الطريقة الصوفية التى أخذ د. مصطفى العهد من أحد شيوخها، تبركا وليس سلوكا، وهى الطريقة النقشبندية. ونقوم بالتعريف بالشيوخ الذين تأثر بهم د.مصطفى محمود،

(١) الفروع الخلافية – الإمام محمد زكى إبراهيم، تقديم وتعليق محيى الدين الاسنوى – مطبوعات العشيرة المحمدية ١٩٩٥م

حتى يكون القـارئ على بينة من مصـادر التصوف، التى اسـتقى منها كاتبنا ، فكره الصوفي، وهذا ليس من اختـياره ولكنه اختيار الله له، فهـو من أصحاب التـفويض والتسليم لله، فى كل شـئون حياته.

الطريقة النقشبندية :

نقشبند ، كلمة فارسـية معناها النقش فى القلب، أى نقش ذكر الله فى القلب، ومـدارها على اتباع الكتاب والسنـة مثل كل الطرق الصوفـية، ومحورهـا الذكر القلبى مع صمت اللسـان وهذا الذكر يلتزم به د. مـصطفى محـمود حتى الآن، وهى طـريقة مشـهورة بالتربيـة الأويسية، حيث لا يرى المريد شـيخه فى عالم الأجـسام ويستمـد منه روحيا مثلمـا كان يستمـد أويس القرنى (رضـى الله عنه) من روح الرسول ﷺ دون أن يراه وحدث هذا الأمر للكثيرين من أهل الله؛ فابن عربى استمد من شيخه أبى مدين الغوث، ورغم أنه كـان مـعـاصـرا له، فـإنه لم يلتـق به، ذكـر الشـيخ ذلك فى الفتوحات وفى رسالة روح القدس، والطريقـة النقشبندية لها أكثر من إسناد، فـالمسند الأول متصل بـسيدنا على بن أبـى طالب كرم الله وجهـه ويتنزل التسلسـل حتى معـروف الكرخى، ثم أبو على الروزبارى يليه أبو القاسم الجرجانى، ثم أبى على الفارمدى.

والسند الثـانى يبـدأ من الرسـولﷺ إلى أبـى بكر (رضـى الله عنه) ويتنزل السند إلى أبى يزيد البسطامى وقد رباه الإمام جعفر الصادق تربيـة أويسية روحية، فـقد توفى الإمام جعـفر الصادق عـام ١٤٨ هـ وقـبل أن يولـد أبو يزيد بـأربعين سنـة وأخـذ أبو الحـسن الخـرفانى الطريـقة من روحـانيـة أبى يزيد دون أن يقابله فى عالم الأجساد، ويتسلسل الإسناد إلى أبى على الفارمدى إلى يوسف الهمدانى إلى عبد الخالق الغدجوانى الذى قابل الخضر

عليه السلام وعلمه الذكر القلبي الخفى لا إله إلا الله مع حبس النفس وقت الذكر ثم محمد بهاء الدين نقشبند، ثم ضياء الدين خالد النقشبندى. والذى نشر الطريقة فى مصر هو الشيخ محمد أمين الكردى الذى ولد فى أربل بالعراق فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى، ومن أراد أن يعرف المزيد عن الطريقة النقشبندية فعليه بكتاب (المواهب السرمدية فى مناقب السادة النقشبندية) لمؤلفه. نجم الدين الكردى طـ ١٩٧٨.

والطريقة النقشبندية هى التى ينتسب إليها د. مصطفى محمود.

١ - أبو عبد الله النفّرى :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله النفرى، ونفَّر بلد من نواحى بابل بأرض الكوفة بالعراق، ولم يرد مولده فى أى كتاب ولم يؤلف كتابا ولكنه كان يكتب كشوفه الروحية على قصاصات من الورق جمعها حفيده لابنته ورتبها، فالشيخ نفسه لم يرتبها، ولو رتبها لجاءت أفضل من ترتيب حفيده.

كان النفرى زاهدا، ضاربا دوما فى الصحراء . كثير الأسفار، يتعمد التخفى والابتعاد عن الناس ، يميل إلى الوحدة، ولايسكن إلى إنسان ولا يكشف شخصيته لأحد . يقال إنه توفى فى إحدى قرى مصر.

والاسم المكتوب على كتاب (المواقف والمخاطبات) المنسوب للنفرى، هو اسم حفيده (محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفرى)، وليس اسم الشيخ نفسه.

ولا نعرف شيئا عن أسرة النفرى أو شيوخه وكل ما نعرفه أنه عاش فى القرن الرابع الهجرى وكان إماما بارعا فى كل العلوم.

ويقال إن الطريقة السبعينية التى تنسب إلى عبد الحق بن سبعين تتضمن فى إسنادها الإمام النفرى، وتوفى النفرى عام ٣٤٥ هـ وقد شرح كتاب المواقف والمخاطبات، الشيخ عفيف الدين التلمسانى (٦١٠- ٦٩٠ هـ).

وأسلوب النفرى شديد الرمزية يصعب فهمه وإدارك مراميه وللنفرى غير كتاب المواقف والمخاطبات المشهور مقالات ورسالات وأشعار نشرها الأب بول نويا ضمن كتابه (نصوص صوفية غير منشورة) سنة ١٩٧٣ وقد قام الدكتور مصطفى محمود بتقريب كتاب المواقف والمخاطبات للقارئ الخاص فى كتابه (رأيت الله) وألحق به، المقالات التى نشرها الأب بول نويا، وكل المعلومات التى ذكرناها عن النفرى سلفا، اختصرناها من كتاب تجريد التوحيد للنفرى، وهو رسالة دكتوراه للدكتور جمال المرزوقى نشرتها دار الزهراء للإعلام عام ١٩٩٤.

٢ ـ الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى :

ليس فى حاجة إلى تعريف لكثرة ما كتب عنه، ولكن لا بأس من تعريف من يعرف ومن لايعرف، مقام ابن عربى ودرجته ورتبته فى الولاية، من خلال سردنا لكلامه هو عن نفسه من باب التحدث بنعمة الله عليه وما سنذكره الآن نقلناه من كتاب الفتوحات المكية ورسالة روح القدس وكتاب الأستاذ محمود الغراب (الشيخ الأكبر: ترجمة حياته من كلامه) والأستاذ محمود الغراب يقوم بالتحقيق العلمى الدقيق جدا لمؤلفات الشيخ الأكبر، ومتخصص فى ابن عربى بالذات. ولشدة تحريه الأمانة العلمية والتدقيق، قال : إن كتاب فصوص الحكم، به كثير من الكلام الذى لايقول به ابن عربى، بل ذهب إلى أبعد من هذا فأنكر نسبة الكتاب للشيخ الأكبر، رغم شهرة الكتاب، وبعد أن يعرف المنكرون على

ابن عربى أحـواله ومقاماته، فليـضحكوا ، أو يبكوا فهـذا شأنهم. ولا أهمية له، إلا أن يعود أحدهم إلى صوابه ولا أحسب أن يحدث هذا، ولكنـا ذكـرنا هذا الكلام لـيـعـرف الجـــهلة، وديدان الأرض وأصحاب البطون الممتلئة بما نعرف. المنكبون على حطام الدنيا من هو ابن عربى؟ هو محمد بن على بن محمد العربى الحاتمى الطائى المعروف بابن عربى ولد ليلة الإثنين ١٧ رمضان عام ٥٦٠ هـ فى مرسيه بالأندلس (ونكرر أن كل مـا نذكره الآن هو من كلامه عن نفســه وليس فيه كلمة واحـدة لغيره) ولكننا نذكـر الكلام بطريقة الحديث عنه حتى يسهل على القارئ استيعابه، ونواصل كلامه عن نفســه: كان منذ نشـأته محبـا للأولياء يدافع عنهم ويـرحل إليهم ليجتمع بهم، فـرحل إلى أشبيليه وقرطبة وتلمســان وفاس وسبته والقـاهرة والقـدس والمدينة المنورة ومكة المكرمـة، وحلب وبغـداد وقونيـه، واستقـر فى دمشق فى نهـاية حياته، لايروى حـديثا إلا مسندا إلى صاحـبه سماعا مـتصلا حيث سمع أحـاديث البخارى ومـسلم والتـرمـذى وأبى داود وغـيـرهم من المحـدثين، اجـتـمع بالفيلسوف ابن رشد وأئمـة الكلام فى عصره، وطالع كتب الأدب والشعـر العربى والتـاريخ وكل أصناف العلوم، واجـتمع بجـميع طبقات الأولياء الأحياء فى زمانه القطب الغوث والإمامين والأوتاد والأبدال والنجباء والنقـباء والرجبيين.... إلى آخـر مراتب الأولياء.

يقول:

ما من مقام فى الولاية إلا وتحـققت به ذوقا وتمكينا، وأطلعنى الله على جميـع الأقطاب بأسمائهم إلى يوم القيـامة، وامتنعت عن ذكرهم، واجتمعت بالخضر عليـه السلام وروحانية سيدنا عيسى عليه الـسلام وتبت على يديه فى بداية سلوكى، وهو الـذى أمرنى بالتـجرد من الدنيـا قبل دخـولى الطريق وفـتح الله علينا بفتـوح

العبارة والحلاوة والكشف التي تشمل الفتح لكبار الأولياء، ورأينا الكرامات بجميع أنواعها من تسبيح الجماد ونطق الجوارح وكل ما يخطر ببال أهل الله. وشاهدت الملائكة وسألت الله تعالى أن يحجبهم عني.

وهو وارث محمدي كامل دخل كل الحضرات الإلهية. وذاق القرآن نزولا على قلبه قرآنا وفرقانا بالطريقة التي لايعرفها إلا كبار العارفين ونال البشرى من الله في الحياة الدنيا سنة ٥٩٢هـ . وهو في فاس وقال عن هذه البشرى: شاهدت ما لا يمكنني النطق به. ورأى ليلة القدر كثيرا، وحدث له اسراء روحي أفرد له كتاب (الإسراء إلى المقام الأسرى)، ورأى في واقعة جميع الأنبياء وجميع المؤمنين. وقرأ القرآن على سيدنا إبراهيم عليه السلام في واقعة، وأعطاه سيدنا موسى عليه السلام علم الكشف والإيضاح. وحصل مقام القربة الذي هو بين الصدِّيقية والنُبوَّة عام ٥٩٧ هـ ولم يجد شيخا يشرح له هذا المقام، فشعر بوحشة، فرأى أبا عبد الرحمن السلمي وقد تجسدت روحه وقال له: هذا مقام القربة وقد قُبضت أنا فيه، واجتمع بروح القطب الغوث أحمد السبتي بن أمير المؤمنين هارون الرشيد وهو يطوف بالكعبة.

ومن مؤلفاته:

الفتوحات المكية ويقول عنه: هذا الكتاب مع طوله واتساعه وكثرة فصوله وأبوابه ما استوفينا فيه خاطرا واحدا من خواطر الطريق ، فكيف الطريق؟ وما نودع في كل باب إلا نقطة من بحر. ويقول عنه أيضا: ما أبرزناه إلى ما عندنا قشر. وأنا أخاطب بكلامي المؤمنين الذين اشتغلوا بتصفية أنفسهم وتحققوا بالذل والعبودية والافتقار في جميع الأحوال، وماعدا هؤلاء فهم بأنفسهم لأنفسهم ليس لله منهم شئ فلا كلام لنا معهم، فإنهم

جـاهلون، فكلامنا مع أهل الطريق لا مع غـيرهم، فـإن الله أطلعنا على أسرار تجهلها أكثر الخاصة فما بالك بالعامة، ووالله ما كتبت في الفـتـوحـات حَـرفـا إلا عن امـلاء إلهي وإلـقـاء رباني أونفث روحاني في روع كياني، ولا نشـتغل بالرد على أحد من خلق الله المعترضين علينا بل نقيم لهم العذر في ذلك للاتساع الإلهي.

ومؤلفات الشيخ تبلغ حوالي نيفـا وأربعمائة مصنف، بقي منها مائة وخـمسـون والباقي مفـقود: نذكـر منها، فـصوص الحكم- الإسرا إلى المقـام الأسرى - مواقع النجـوم- التدبيرات الإلهـية- إنشاء الدوائر- عقله المسـتوفز- تحفة السفـرة إلى حضرة الكرام البررة- رسائل ابن عربي- تاج التراجم- الجواب المستقيم رسالة روح القدس. ومن الشعر: ديوان تـرجمان الأشواق ديوان الديوان الأكبر- ديوان الأشواق... إلى آخر مصنفاته رضي الله عنه ويقول د. مصطفى محمود:

قرأت لمشايخ أفاضل ولكتاب إسـلاميين هجوما على ابن عربي وعلى فكره وشطحـه، وفي يقـيني أن الـرجل عظيم ولاشك، وهو قمـة في فكره وصوفيـته والذين هاجمـوه لهم عذرهم، فهـو بحر متلاطم يغرق فيه الملاّح وتغوص فيه العقول فتخرج بالدر أو تهلك ولايكون لها نجاة .

وكتب الرجل هي للخاصة وخـاصة الخاصة وهي زاد للخائفين والمحبين والعاشقين والمشغولين بربهم.

والألوف الذين يدخلون الإسـلام من الأوروبيين بابهم الوحـيد إلى الإسلام هو ابن عربي لأنه يلتقي مع روحهم الصوفية.

ونظرية ابن عربي عن العدم والأعيـان الثابتة في العدم هي من أعمق ما كتب [عالم الأسرار ص٣١].

وفي حواري معه عن ابن عربي قال:

الذى يهاجم ابن عربى، يجب أن يكون ندا له، قد وصل إلى مقامه ودرجته فى الولاية، فإن لم يكن هكذا فليس له أن يدخل فى هذا المجال.

وفى السبعينات حين بدأت الهيئة القومية للكتاب فى طبع كتاب الفتوحات وقف أحد أعضاء مجلس الشعب ممن يتوهمون العلم بالدين، وطالب بوقف طباعة الكتاب لأن ابن عربى يجعل من الأسماء الإلهية آلهة لها تأثير فى الكون. ورد عليه د. مصطفى محمود فى مقالاته بجريدة الأهرام. وشرح ما يقصده الشيخ الأكبر بتجليات الأسماء، وقال بأسلوبه الخفيف الظل وتهكمه المحبب إلى كل القراء: ليست وظيفة عضو مجلس الشعب أن يتحدث عن ابن عربى الذى حار فيه أساتذة فى جامعات الشرق والغرب، أنفقوا حياتهم فى دراسته ولم يفهموا حقيقته، على هذا العضو ألا ينظر فى الفتوحات، بل ينظر فى المجارى الطافحة وأكوام الزبالة فى شوارع القاهرة ومداخلها ينظر فى مشكلة طابونة تخبز العيش للجياع من الناس، فى شارع ملئ بالحفر والبالوعات المكشوفة... إلى آخر مقالاته.

٣ – تاج الدين ابن عطاء الله السكندرى :

هو قطب العارفين ومرشد السالكين، أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله. كان مالكى المذهب، وسلك الطريقة الشاذلية على يد سيدى أبى العباس المرسى. وكان أعجوبة زمانه، فقد جمع أنواع العلوم من تفسير وفقه وصرف ونحو وأصول وغير ذلك.

قال له شيخه أبو العباس المرسى: والله لئن لزمتَ لتكونن مفتيا فى المذهبين. وله مؤلفات عظيمة منها الحكم العطائية، التى شرحها ابن عباد الرندى وأحمد بن عجيبةو وشيخ الإسلام عبدالله الشرقاوى، وأحمد بن زروق، وشرحها شعرا نور الدين

البريفكاني وأعجب بها المرحوم الشيخ محمد الغزالي، وقال: إن الحكم من أفضل كتب التصوف. وله أيضا كتاب التنوير في إسقاط التدبير، ومفتاح الفلاح وهو كتاب يبحث في الذكر ومراتب الأسماء الإلهية. ولطائف المنن، وعنوان التوفيق وهو شرح لقصيدة أبي مدين الغوث التي خمسها ابن عربي وتاج العروس ، والقول [illegible]

[illegible]

ياقوت العرشي بعد وفاة شيخه أبي العباس المرسي، وذكر شيخنا محمد زكي إبراهيم المناظرة التاريخية التي جرت في الجامع الأزهر في كتابه أصول الوصول جـ١ ص٢٩٩، وأفرد له في الترجمة، د. أبو الوفا التفتازاني في كتاب (ابن عطاء الله السكندري وتصوفه).

وبعد أن ذكرنا الشيوخ الثلاثة الذين تأثر بهم د. مصطفى محمود نبدأ بتناول حديثه عن خلاصة التصوف والسلوك. وهو يتحدث عن ذلك بأسلوب سهل، ومُبسط، يستطيع فهمه أهل الطريق الصوفي والمؤمنون من عامة القراء.

منهجه في التأليف :

يبدأ د. مصطفى محمود، الذي أنزل الله في قلبه الرحمة بالعباد، ووقاه شرَ الصلف والعناد، وأبعده عن الضلال والفساد. يبدأ ترتيب مؤلفاته كما تبدأ الأم بإرضاع طفلها، ثم تفطمه، ثم تعطيه الغذاء المناسب. ولا أحسب أن هذا المنهج من عند نفسه، بل من تدبير الله وعنايته به، فهو يبدأ بالإنسان البائس اليائس، والجاهل الغافل، صاحب العمر الكبير والقلب الصغير، فيبدأ بالقصص والروايات والمسرحيات والمقال الأدبي، بطريقه سهلة الفهم مشوقة جذّابة، مسرحية المسيح الدجال، هي نفس فكرة

مسـرحية زيارة للجنة والنار ولكنه فى الأولى لم يتـعرض لفكرة الأعيان الثابتة وأن العلم تابع للمعلوم، لأنهـا فكرة صوفية صعبة الفهم. ثـم يأتى فى المسرحـية الثانيـة فيـعرض الفكرة بإسـهاب، ولكنه يقف بالقـارىء عند حدود فـهمـه فلا يتـعدى الحـديث فى النفس اللوامة، ولما سألته لماذا لـم تختر النفس الكاملة؟ أجاب: لأن أغلب الناس لا يعلمون مراتب النفس، ومـبلغ علمهم النفس اللوامة لذلك اخترتها.

وهو يبـدأ رحلته فى التـأليف بمخاطبـة العقل. والقلب بـدرجة قليلة فلا عجب أن تراه فى (حوار مع صديقى الملحد) يلجأ للمنطق والقياس والبراهين المادية والأدلّة، ثم تراه فى (رأيت الله) و(السر الأعظم) على النقيـض من ذلك تماما، فلا وجـود لمنطق أو عقل، بل حديث إلى القلب والروح والسـر لأنه يتحدث هنا عن عـالم منطقه غيـبى وعقله قلبى، عـالم خارج عن حدود المادة، والـعقل معـقول مربـوط فى عقـاله، لا يستطيع أن يدخل هذه المنطـقة. والدكـتور مصطفى صاحب رسالة ملتزم بها، ويعرف ما عليه، ويقدر الأمانة التى حمّله اللـه إياها، فهو لا يعـيش لهواه، ولا يكتب ليفـرغ أزمة نفسية ذاتية أو معاناة عاطفية، يتخلص منها بالكتابة، ولا يهمه إلا الفائدة التى تعود علـى القارىء كما يفعل أغلب المبـدعين الغارقين فى ذواتهم ، بـل كلهم إلا مـا ندر. ويـحـاول أن يكون واضـــحـا مـفهـومـا، ولذلك كـان طبيـعـيـا جدا أن يرفض مـذاهب العـبث واللامعقـول والسيريالية وما شـاكل ذلك من المذاهب الفنية والتى لا يجنى القارئ منها أية فائدة.

ونحن معـه فى ذلك؛ فالغـرض من الكتابة هدايـة القارىء إلى الطريق المستقيم وتوضيح الحـقائق وحلّ المشاكل بتقديم عروض لهـا وحلول مـمكنة التنفيـذ وشفـاء الأمراض النفـسيـة والقلبـية بالمفـهوم الإسلامى، وهذا الـشفاء لا يحـتاج إلى عـقاقـير طبـية،

وتحليل نفسى. بل يحتاج إلى غرس الصفات المحمودة فى القلب، ومحو الصفات الذميمة، ود. مصطفى يوضح هذا الأمر للقارئ بكل وسائل التعبير.

وبعد أن يمضى بنا د. مصطفى في رحلة الحياة المادية، ويصعد بنا (على خفيف) إلى رحاب الحياة الروحية، يدخل بالقارئ إلى ساحة الحقائق الإلهية من باب التمسك بالكتاب والسنة، ويصل إلى مقصده، وهو تعريف القارئ بالحقائق الثابتة، وما هو الهدف من وجوده، وماذا عليه أن يفعل. ففى حديثه العلمى عن الآيات الكونية فى القرآن، يأخذ بيد القارئ خطوة خطوة، ففى قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان﴾ يتحدث د. مصطفى عن غزو الفضاء والمركبات الفضائية، والأقمار الصناعية فيعترض الصوفى على كلامه، فإذا تابع مؤلفاته، شفى غليله وأراحه ووضّح له المفهوم الحقيقى من الآية. فيقول:

العارف هو الذى ينفذ من أقطار السموات والأرض بعد تصفية النفس وتطهيرها وإعدادها للمشهد الأعلى والخروج من عالم الكثرة، ولا يكون ذلك باجتهاد أو علم نقلى أو كسبى، وهذا هو المعراج إلى حضرة الرب، وهو حظ النبى ﷺ والعلماء الوارثين على قدمه[1].

ليس من عندى :

ود. مصطفى محمود يعترف صراحة، أنه يقول بما قال به العارفون بالله أصحاب المقامات العالية، والكاتب الذى صنّف كتاب (شطحات مصطفى محمود) رجل مغفّل جاهل لا يعرف ما هى الشطحات، فالدكتور مصطفى لم يقل: أنا الله. ولم يقل: سبحانى،

---

(١) السر الأعظم ص ٨٢.

ولم يقل: مـا فى الجبَّـة إلا الله ونحـو هذا مـما قـاله أهل الله فى حالات السكر.

ومن حذر كاتبنا وتقديره لكلام العارفين بالله، نجده لا يتدخل ولا يمزج كلامـه بكلامهم، بل يشرح كلامـهم ويقول فى تواضع: أنا اتكلم على قدر فهمي وكل إنســان يشرب على قدر وسع فمه.

[illegible]

ولن نلجأ إلى التبسيط كعادتنا فى كتبنا، فالتبسـيط يقتضى التـصرف فى المادة المعـروضـة، ولسنا أحـرارا فى هذه المادة، إنما نوردها كما اسـتقيناها من منابعها. وأصحـابها قد أوردوها علينا كما ألقيت إليهم بكرا من مـصادرها العليا، فنحن أمام علم ضِنين، التبـسيط فـيه إخلال وابتـذال، وعبـارات الصوفيـة هى تذوّقٌ لما لا يُقال، فهى تعبّرٍ بالإشـارة والإيحاء، فمن وهبه الله الذوق التقط الإشارة، وترجمٍ العبارة، ومن حُرِم الـذوق فاتته الإشارة وأبهمت عليه العبارة. جفّت الأقلام وطويتَ الصحف.

النفس والجسد :

يرى د. مصطفى محـمود أن الصحة فى مرحلة الشـباب طاقة هائلة، وثروة عظيمة لا يشـعر بها إلا أصحاب الشيـخوخة. ولكن هذه الطاقة تذروها رياح الغفلة واللهو، ويحـذر الشباب من ضياع هذه الفترة من الحياة فى عدم السعى إلى معرفة الله.

ويرى د. مصطفى أن مـأساة الإنسان، تكمن فى عـدم التوازن بين نفـسه وجـسـده، فحـينما يضـعف البـدن لا تموت الشهـوة. وحينما يضعف البصـر لا تضعف الرغبة فى الرؤية وإنما العكس، تسقط الأسنان فتزداد الرغبة فى المضغ وتبدأ المهزلة.

ويقول فى (كتاب الإسلام ما هو؟) ص٧٧ وما بعدها:

من لم يؤدب شبابه لن يستطيع أن يؤدب شـيخوخته، ومن لم يتمـرس على كبح نفســه صبيـا لن يقدر على ذلك كهـلا، وسوف تتحول لذَّته وتصبح عين مهانته إذا طال به الأجل.

والجسد يشيخ ويهرم، ويتحول الفُسَّاق العُتاة، فيصبح الواحد منهم طفلا يتبول على نفـسه ويحبو ويُتهته، وبعـد أن كان وجيها وله شأن يصير عالة وعـبئا ثقيلا وكومة من القمـامة يتهرب منها الكل. لا يزوره أحد ويموت كأنه دابة نفقت في حفرة [وهذا ينطبق على أهل الدنيا وليس على أهل الله].

والسر في هذه المأســاة أن النفس لا تشيخ ولا تهـرم فهي من جوهر آخر لا يطرأ عليه التحلل والفساد. فالسائق ما يزال محتفظًا بجميع لياقته وسـيظل شابا على الدوام، وإن كانت العربة الفاخرة قد صدئت وأصابها التلف، وتلك مهـزلة الشيخوخة. نفس مازالت بكامل رغباتها، وشهواتها، وجسد مشلول لم يعد يطاوعها.

ويقول أهل الله: (إزالة الـتعلقات بعـد فناء الآلات من المحالات) وأهل الله فهـموا أن الجسـد ما هو إلا سـلالم للصعود والهـبوط؛ فالمعدة عضو أكل لكنها عضو صيام، وجهاز التناسل عضو جماع ولكن عضو عفَّـة، وتلك فرصة إزالة التعلقات أيهـا الشاب المبتدئ في السلوك. وسـوف تضيع هذه الفـرصة بالشـيخـوخة والأجل المحدود. والنمـو الروحي يحتاج لهـيكل مادي يعرج عليه صـعدًا؛ فالجـسد مـحراب الروح. فالجـسم قنديل يمكن أن يشع فـضيلة: والنظر إلى الجسد باعتباره خطيـئة، نظرة غير إسلامية. وفي هذا المجال لا ينتهي الكلام.

التصوف خُلْوَة وجُلْوَه :

يرى د. مصطفى محمود أن الصوفية هم خاصة الخاصة. وقلة

القلة من القادرين على جهاد النفس ومخالفة الهوى والسلوك فى بحار الغيوب واستطلاع الأعماق والأسرار، وقد أراد الله أن تكون كثرة الناس من أهل الغفلة ليشتغلوا بعمارة الدنيا، واستصفى القلة وقلة القلة لنفسه.

ويرى أن الرسول ﷺ عاش الصوفية فى غار حراء فى عزلة، والأنبياء قبل الرسول ﷺ عاشوا التصوف، فعيسى عليه السلام يعتزل الناس فى خلوة، وموسى عليه السلام يختلى أربعين يوما تنفيذا لمشيئة الله كى يتأهل ويستعد ويصلح لنزول الألواح عليه.

(فالجانب الصوفى كان دائمًا جزءًا لا يتجزأ من النبوة، لكن الأنبياء هم كُمَّل البشر، فجمعوا بين الفكر والعمل وهذا الكمال لا يتيسر للكثيرين وإنما نجد فى الكثرة طغيان جانب على جانب. فهناك صوفى متأمل يؤلف الكتب مثل الغزالى والجيلى، وهناك صوفى صاحب عمل وفعل وقيادة كعمر وأبى بكر وخالد بن الوليد رضى الله عنهم) أ.هـ[1]. ويرى أن القرآن لا يخلو من اللمحات الصوفية فهو فى أكثر من مكان يصف الدنيا بأنها لهو ولعب، ويحضنا على الزهد فى بريقها وهى نظرة صوفية.

الصوفية إذن هى فى جوهر الدين وليست ابتداعا فى الدين.

وهى درجة تخصص فالعبادة عند الصوفى تُعَدُّ حبا، لا طقسا دينيا خاليا من روح الحب.

الصـــــوفى :

يرى د. مصطفى أن الصوفى هو ذلك العبد السليم الذى يتجرد ويخلص وجهه لله تعالى، ويفرغ القلب من شواغل الدنيا ويجمع الهمة للذكر بالقلب ويعمر كل وقته بالعبادة.

يقول :

لا نقصد بالصوفية فى كلامنا أهل الشعوذات والمتسولين

---

(١) الإسلام ما هو؟ ص ٩٨.

الذين رفضوا الأسباب، فتلك انحرافات نجـدها فى كل مذهب وفى كل ملّة وهى لا تدين المذهب ولكنها تدين أصحابها.

ونقصد بالصوفية كما تعلمناها من الكبار الكمل أمثال الشاذلى والرفاعى ، والنفرى وابن عطاء الله السكندرى وغيرهم، فنحن مع هؤلاء فى صميم الإسلام. والصوفيـة، أقدر الناس على تجسـيد كلمـة الشهـادة، إذ ترتفع عند الصوفى درجـة الإقرار إلـى درجة الشهود.

غيرهم يُقر بـ (لا إله إلا الله) وهم يـشهدون بالعين والقلب أنه (لا إله إلا الله).

والقرآن يشتمل على أوامر للعامة وأوامر للخاصة الذين هم فى أعلى المراتب وتنطبق عليهم الآية: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ وفى ذلك فليتـنافس المتنافسون، وليس فى مـكاسب الدنيا وعرَضهـا الزائل ، فهذا هو مجال التنافس الشـيطانى السهل الذى لا يثمر إلا عرضا زائلا.

فـالتصـوف بحر فـيه من الجـواهر واللآلىء والمراجين مـا لا يستطيع أن يبلغـه إلا الغواصون الذين أفردهم الله وعلمـهم كيف تكون الملاحة فى الأعماق واصطياد الحقائق أ.هـ[1].

الأعيان الثابتة :

علم الله قديم أزلى، يعلم الأشياء قبل وجودها، علما قائما بذاته ولا يتجدد علم الـله بظهور الأعيان، تعالى الـله عن ذلك، والأعيان الثابتة هى الحقيقة الباطنة، للموجودات الظاهرة، والأعيان لم تبرز للوجود، وإنما ظهرت ظلالها التى هى الأكوان، والمقصود من خلق العالم هو الإنسـان، وهو بمثابة النفس الناطقـة للكون مثل النفس الناطقـة فى الجـسم، ونقـصـد الإنسـان الكامل، وليس الإنسـان الحيوان.

---

(١) الإسلام ما هو؟ ص ٩٨.

ويقول د. مصطفى مثلما قال الشيخ الأكبر وغيره من العارفين: إن الأعيان الثابتة، اختارت ما هي عليه في الدنيا بمحض إرادتها ولم يجبرها الله على ذلك. فكل عين تعشقت باسم إلهي، هو الحاكم عليها في الدنيا، وإذا سأل العبد ربه : لماذا خلقتني هكذا؟ قال له الحق تعالى: خلقتك بما علمتك وبما طلبته وقبله استعدادك. وهذه المسألة لا تُفهم إلا ذوقا (أرجو ان يعذرني القارىء ويعذرني د. مصطفى محمود. فإني كثيرا ما أمزج كلامي بكلامه، الذي قرأته في كتب العارفين، وهذا يحدث رغما عني، فالمعين الذي نستقي منه واحد. هو علوم أهل الله).

وقد شغف د. مصطفى بهذه الحقيقة العرفانية (الأعيان الثابتة) فكتب عنها مسرحيته (زيارة للجنة والنار) ويقول د. مصطفى:

في هذه الزيارة أسير بخطى الخيال، وبطل المسرحية ليس شخصا بعينه. ولا يرمز لأحد ممن نعلم، بل هو رمز للجبروت والجبارين، وأنا لم ينكشف لي شيء من أمور هذه العوالم. ولكنه الخيال المطلق واليقين الثابت بأن الجبارين على كافة أسمائهم وعصورهم سيكون هذا مصيرهم. والله يخفي لهم من العذاب أكثر مما نقول: كما يخفي للصالحين الأبرار والشهداء من النعيم أكثر مما يحلمون به، وتعالى ربنا عما نقول ونكتب، فنحن أسرى الكلمة وسجناء الحرف ، والحقيقة من وراء الكلمة والحرف، والله من وراء الجميع (زيارة للجنة والنار ص٨).

ونعرض للقارىء المسرحية بإيجاز شديد جدًا:

تبدأ المسرحية بموت ملك جبار ظالم في السجن، ورعيته تطلب القصاص منه، لأنه قتل الأبرياء وأحرق الأطفال والنساء، لكنه مات ويقع الناس في حيرة، كيف يموت هكذا دون عقاب؟ وأين العقاب؟ ويقول لهم السجّان: أنه يعاقب أشد العقاب في النار.

ويظهر مشهد النار على المسرح. ويدور حوار بين الملك الجبار وشيطانه. ويعرض المؤلف من خلال الحوار فكرة الأعيان الثابتة. وأن الإنسان الجبار اختار جبروته وطغيانه قبل أن يُخلق ومنذ كان فى عالم الإمكان، بل طلب ذلك من الله ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ وأن جميع الاختيارات عرضت على هذا الملك الجبار فلم يختر إلا الجبار، وغيره اختار العالم، وآخر اختار المصوِّر وهكذا، والذى لا يفهم هذه الحقائق هو حَمار وبهيم. وتتوالى المشاهد. ومن مضامين المسرحية، أن الإنسان المذنب المنكسر الذى يفعل الذنب لظروف قاهرة، وهو نادم على ذلك، هذا يتوب ويدخل الجنة، والمصرُّ على الذنب. والذى يجاهر به وينشره ويشجعه ويهيىء له ظروف حدوثه. هو من أهل النار، ويذكر المؤلف بعض أسماء شخصيات كانت مشهورة فى الحياة الدنيا بعضهم فى النار، وبعضهم فى الجنَّة، ويعرض فكرة أن الدنيا دار بلاء واختبار، وأن العذاب المحدود فيها ليس عذابا بالمرة وأن الله تعالى مالك الملك. فهو يتصرف فى ملكه، ويفعل فيه ما يشاء. وأن الشيطان ليس له سبيل على عباد الله المخلصين . ويناقش الفكر المادى الماركسى، ويبين أن الإنسان باستخدامه العلم الحديث فى الشر والفساد. ونشر الرذيلة من خلال التليفزيون والأقمار الصناعية. صار أحط درجة من الشيطان. وتنتهى المسرحية بنداء:

يا أهل الجحيم عذاب ولا موت
يا أهل الجنة نعيم ولا موت
جفت الأقلام وطويت الصحف

وقد اختصرنا المسرحية، بدرجة مخلّة ومشوِّهة للنص ، وعذرنا فى ذلك أننا نتعرض لفكرة واحدة، وهى فكرة الأعيان

الثابتة، والتى تعرض لها د. مصطفى فى أكثر من كتاب. وهى من العلوم التى يتلقاها العارف فى معراجه الروحى، ود. مصطفى محمود. هدفه من المسرحية، تعريف الناس بأن كل واحد مسئول عن أوزاره وذنوبه، وغرس هذه الفكرة فى قلوبهم. عن طريق العرض المسرحى، ولم يسترسل فى أغوار علم الأعيان الثابتة، وكيف يكون حال من يراها تفصيلا ومن يراها جمعًا وأيهما أعلى مقاما، والوقفة التى تسبق دخول منزل الأعيان الثابتة وأدب الداخل إلى هذه الحضرة، والعلوم الأخرى الموجودة فى هذا المنزل غير علم الأعيان الثابتة، كل هذا لم يتناوله د. مصطفى محمود لأنه يخاطب عامة القرَّاء، وتلك وظيفته كما قال فى حواره معى: أنا أجرُّ رجلَ الرجل العادى، إلى هذا العالم الغيبى النورانى وكفانى هذَا.

العالم والعارف :

يتناول د. مصطفى محمود موضوع المعرفة والعارف، والوقفة والواقف والعلم والحرف، والكون والسوى، ونحو هذه المصطلحات فى أكثر كتبه، حتى فى المسائل التى تختص بالأمور الدنيوية نجده يتحدث عن هذه المعانى النورانية الراقية، ليجذب القارئ إلى هذا العالم، عالم الروح.

وهذا يرجع إلى شغف د. مصطفى وحبه للعارف الكبير والقطب الخطير محمد بن عبد الجبار النفرى صاحب المواقف والمخاطبات. ووضع د. مصطفى كتابه (رأيت الله) ليشير إلى جانب من مضمون علم هذا العارف، وقد قرأت ما يسّره الله لى عن المعرفة والعارف والعلم والعالم والوقفة والواقف. ومنازل المعرفة الروحية، وأهل الله متفقون فيما بينهم على حقيقة المعارف الإلهية، غير أن هناك اختلافًا فى التعبير بالألفاظ يوهم القارئ

الذى ليس له خبرة بهذا الفن، أن هناك اختلافا واسعا بينهم، والحقيقة أنه لا يوجد أى شقاق أو اختلاف، ونحن نعتمد فى دراستنا للتصوف على مصدر واحد هو مؤلفات الشيخ الأكبر ابن عربى، فنعود إليه إذا تضاربت الأقوال فى موضوع ما. ونترك التفصيل بين مقامات العارفين فالله أعلم بهم. ونحن نرجع إليه لأنه لم يترك علما فى التصوف إلا شرحه ووضحه.

يرى النفرى، وكل من كتبوا عنه، ومنهم الدكتور مصطفى محمود، أن المعرفة أعلى من العلم، والوقفة نهاية فى المعرفة، بينما يرى ابن عربى أن العلم أرقى من المعرفة، ونحن نتكلم عن العلم بالله، والمعرفة بالله، دون العلم والمعارف الأخرى. ويرى ابن عربى أن اسم عالم الذى سمَّانا الله به أولى من اسم عارف، وأن العارف دون العالم، والله ما سمى العبد عارفا إلا من كان حظَّه البكاء من الأحوال، ومن المقامات الإيمان بالسماع لا بشهود الأعيان، ومن الأعمال الرغبة إليه سبحانه والطمع فى اللحوق بالصالحين قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] ولم يقل علموا فوصفهم بالمعرفة وفى آخر الآية ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ٨٤] فسماعهم من الكتاب الكبير لا من أنفسهم والله تعالى أثابهم. والصديقية فوق هاتين الصفتين اللتين طلبهما العارف، فالعارف يعمل على تحصيل الأجرة والثواب، والله برَّأ الصدِّيقين من طلب الأعواض وطلب الثواب لأنهم يعلمون أن أفعالهم ليست لهم فلا يقوم بهم خاطر لطلب العوض فلنتعلم الأدب، فعلم الأسماء عظيم، وانظر بعين البصيرة أدب الرسول ﷺ أين جعل العارف، حيث جعله الحق فقال ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» ولم يقل علم ربه، فلم ينزله عن حضرة الربوبية

ولا عن حضــرة نفسه التي هي صــاحبة الجنة «فـيها ما تشــتهى الأنفس» فالعارف صاحب شهوة محمودة.

ثم يقول ابن عربي :

معـذرة: أعتـذر بهـا عن أصحـابنا من أهل الله في تسمـيتـهم صاحب المقـامات والعلم والله عارفا ولم يسـموه عالما، كمـا قررنا وهو كان الأول من كل وجه، ولكن غلبت عليـهم الغيرة على طريق الله. لما رأوا أن اسم عـالم قد شـاع في كل من كـان عنده علم من العلوم وإن انكبَّ على الشهوات والمحرمـات، وتورط في الشبهات، ومع هذا يطلق عليه اسم عالم، فأدرك أهل الله الغيرة أن يشاركهم البطّال في اسم واحـد فـأدّاهم الأمر إلى تسـمـية المقـام مـعرفـة وصاحبه عارفًا أ.هـ[1].

وقد جـرى د. مصطفى مـحمـود على مجـرى أهل الله، وأطلق على صاحب المقامات والعلوم اللدنية اسم عارف، وهو مصيب في ذلك، فلا يعترض أحد على كلامـه. فقد قرأ د. مصطفى ابن عربي ويعرف كل ما قاله. ولكنه لا يغوص بـالقارئ كما قلنا من قبل في هذه المحيطات العميقة المهلكة.

العارف بالله عند مصطفى محمود:

يرى د. مصطفى أن أي إنسان، لم يطع الله، فما عرفه ولو كتب المجلدات ودبّج المقالات وألّف النظريات في المعرفة الإلهية.

ولقد كـان إبليس فليسوفا وعـالما ومجادلا وكان يبـهر الملائكة بعلمه وفلسفته، وظل سبـعين ألف سنة يعبد ويتفلسف ولكن الله يعلم أن هذا المخلوق المتكبر، بكلامه عن المعرفـة الإلهية إنما يتحدث بلسانه، وأن كلامه لا يدل على قلبه.

وسيد الأدلة على المعرفة وعدمها هو السلوك عند الأمر والنهي

---

(١) مواقع النجوم. ابن عربي. ط مكتبة صبيح من ص ٢٩ حتى ص ٣٢ باختصار شديد.

وهذا ما حدث لإبليس: حينماجـاء أمر الله، شقَّ عليه تنفيذه ونسى ما كان يحاضر فيه منذ لحظات.

وسقط إبليس مع أجهـل الجاهلين، ولم تغن عنه النظريات التى كان يبهر بهاالملائكة ويتصور أنه سيد العارفين.

وقـد سـألت د. مصـطفى عن المسـتشـرقـين وكـتـاباتهم عن التـصـوف رغم عدم إيـمانهم بـالإسلام مـثل أسـين بلاثيـوس، وماسينيون وغيرهم وبعـضـهم من اليهود الذين يعادون الإسلام. كيف يكتبون ويترجمون ما لا يؤمنون به؟

قال: بعض المسـتشرقين آمن برسـالة الرسول محمـد ﷺ، أما الذين ذكـرتهم فهم يهـتمـون بالتصـوف من باب إحيـاء اللاهوت المسيحى، ويتخذون الصوفية فـى الإسلام جسرًا للعبور فى احياء هذا اللاهوت، والصوفـية أغلب كلامهم عن المحـبة، وهؤلاء عندهم فكرة (الله محبة) لكنهم جهلة لا يعرفون عن التصوف أى شىء.

ونعود إلى آراء د. مصطفى محمود وكلامه عن العارف بالله.

يرى كاتبنا أن إبليس اليوم هو التعجـرف العقلانى فى الفلسفة الغـربية وفكرة السـوبرمـان عند نيـتشـه. والإرهاب الفكرى فى الأيديولوجيات المادية، وكل ذلك جهل وكبـر، تسمًى بأسماء جذابة كالعلم والفلسـفة والفكر. والحيوان عنده علم أكـثر من علم هؤلاء الناس.

والفلاح البـسيط الذى يطوف بالكعـبة باكيـا مبتـهلا عنده علم بالله أكـبـر وأعـمق من علم دكـتور السـوربون المتـخـصـص فى الإلهيات. وأنا ولا شك قد حشوت رأسى بكمية من المعارف الإلهية أكـثر بكثـير مـمـا كـان فى رأس أبى رحمـه الله، ولكن لا أرتاب لحظة فى إنه عرف الله أكـثر مـمـا عرفتـه وأنه بلغ سماء المعـرفة بينما أنا مـا زلت على أرضـها، حظًى منها شطحـات وجدان، وإنما

سبقنى أبى بالطاعة والتقوى والتزام الأمر.

وعن خوارق العادات التى ينبهر بها الناس وأهل الطرق الصوفية يقول د. مصطفى محمود:

لقد كان راسبوتين يشفى المرضى ويتنبأ بالمغيبات، ويأتى الخوارق، وهو أكبر فسَّاق عصره.

وسوف يأتى المسيخ الدجال فيُحيى الموتى وينزل المطر ويشفى المرضى ويأتى بالخوارق فلا تزيده إلا دجلاً.

ويقول:

ليس العارفون هم حملة الشهادات. وإنما هم أهل السلوك والخشوع والتقوى، وهؤلاء قلة لا زامر لهم ولا طبَّال، وسلوكك هو شاهد علمك وليس الدبلوم أو البكالوريوس أو الجائزة التقديرية أو نيشان الكمال من طبقة فارس الذى يلمع على صدرك.

إنما كل هذه مواهب إبليسية تنفع فى الدنيا، وليس لها وزن ساعة الحق، أما العارفون حقا، فهم البسطاء أهل الاستقامة. الذين تراهم دائما فى آخر الصف. إذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذاماتوا لم يمش خلفهم أحد.

فإن لم نكن منهم فخدامهم السائرون خلفهم والطاعمون على فتات موائدهم [كتاب نار تحت الرماد].

الوقفة والواقف :

يحاول د. مصطفى محمود أن يوقظ القلوب النائمة الغافلة، ويحفِّز الهمم الميِّتة، وينشِّط الإنسان لطلب الأمور العليَّة والسعى فى تحصيل المقامات السنيَّة، ولذلك اختار فى كتاب (رأيت الله) المواقف السهلة، ورغم ذلك، فإنه لا يفهمها إلا أهل الله أصحاب

الأذواق. إذن ماذا يستفيد القارىء؟ نقول يستفيد معرفته بجهله، ويدرك أنه يعيش حياة الأنعام والحيوانات إذا لم يعرف الله. فإذا أدرك الإنسان أنه حيوان فى صورة إنسان سعى إلى إزالة الباطن الحيوانى الكامن فى قلبه، بالاتجاه إلى الله، فإذا فعل هذا بعد قراءة مؤلفات كاتبنا، فقد أدَّى د. مصطفى محمود ما عليه وهو لا يطمع فى أكثر من ذلك.

ونعود إلى الوقفة والواقف. فنرى ابن عربى يختلف مع النفرى فى مفهوم الوقفة. ومع شارح المواقف الشيخ عفيف الدين التلمسانى الذى يقول (الوقفة عند النفرى تعنى فناء الطالب فى ذات المطلوب وسميت وقفة للوقوف فيها عن الطلب).

يقول ابن عربى:

ما من منزل ولا منازلة، ولا حال ولا مقام إلا وبينهما برزخ يوقَف العبد فيه يسمى الموقف، وهو الذى تكلم عنه النفرى. فاسم الموقف هو المنزل أو المقام أو الحال الذى ينتقل إليه العارف وما يسمِّيه النفرى (موقف وراء المواقف) هو الموقف الذى لا يكون بعده ما يناسب الأول أى انتقال من حال إلى مقام أو من مقام إلى حال، وفائدة المواقف هى إعطاء العارف آداب ما ينتقل إليه، فيعلمه الله تعالى كيف يتأدب فى الأمر الذى يستقبله. فلكل منزل ومقام وحال أدبه إذا لم يلزمه العبد طُرد، فهذه فائدة المواقف وعلمها. وهناك حالات فى السير إلى الله ليس فيها مواقف لأنها ليست انتقالاً وإنما هى تغيير فى حال السالك، والمقام واحد لم يتغيَّر. والمنزل واحد، لكن السائر إلى الله يتنقل فيه، فهذا السائر لا يقف ولا يتحيَّر ولكن يفوته علم جليل، وعلمه علم إجمال لا تفصيل. وصاحب المواقف فى مشقَّة وتعب، لكنه عالم كبير. والذى لا موقف له يكون مستريحا، ويرى الواقف فى مشقة

ويتخيل أنه دونه في المرتبة، وربما يتشيخ عليه لجهله بالمواقف، وصاحب المواقف لا ينكر عليه سوء أدبه في تشيخه عليه، ولا يعرِّفه بحقيقة الأمر لأنه يعرف أن الله ما أهله للوقوف فيقول له: يا أخي سلِّم اليَّ حالي ويتركه. (انتهى كلام الشيخ الأكبر).

فإذا كان يا أخي هذا هو حال العارفين مع بعضهم وتفاوت مقاماتهم. فأين نحن من هذا العالم العلوي؟ والله إنها لحسرة وخيبة وطامة كبرى أصابت غير العارفين.

وكتاب المواقف والمخاطبات يحتوي على ٧٧ موقفا. و٥٨ مخاطبة اختار منها د. مصطفى محمود ٢٢ عنوانا. غير العناوين التي في كتاب المواقف من منطلق تسهيل الأمر على القارئ، في كتاب (رأيت الله) ولم يذكر المواقف الصعبة.

ويتحدث د. مصطفى محمود في هذا الكتاب عن التوحيد الخالص الذي يمكن التعبير عنه في عبارات وحروف. أما توحيد العارفين الأكابر فهو مكنون في صدورهم. لا يمكن أن تحمله العبارة ولا الإشارة.

يقول النفري في موقف الوحدانية (كتاب المواقف ص٨٠) (١):

وقال لي: أظهرت كل شيء يحجب عني ولا يدل عليَّ

وقال لي: ذكري أخصُّ ما أظهرت، وذكري حجاب .

وهذا الكلام يا أخي الكريم خاص بالعارف الواقف الذي سيدخل منزل الوحدانية، وقد ذكرنا كلام ابن عربي لنشارك د. مصطفى محمود في تسهيل الأمر على القارئ. فهذه الآداب ليست لي ولك فنحن من أهل الحجاب.

يقول د. مصطفى محمود عن الحجب التي تحول بين العبد وربه:

---

(١) المواقف والمخاطبات- النفري- دار الكتب المصرية ١٩٣١ م.

الحجب خمسة: حجـاب أعيان (الأعيان هى كل ما خلق الله من مخلوقـات) ، وحجاب علوم ، وحجـاب حروف ، وحجاب أسـماء، وحجـاب جهل. ثم يسترسل فى تناول هذا الأمـر ليوضحه أكـثر فيقول:

الدنيا والآخـرة حجاب أعيـان، والعلم حجاب أعيـان أيضا لأنه يبحث فيها وفى قوانينهـا، وحجاب الحروف هو الحجاب الحكمى، والأسماء حـجاب على المسمى، وحجاب الجـهل هو الحجاب الذى لا يهتك إلا بقيام الساعة. (رأيت الله ص ٥٣).

وكتـاب (رأيت الله) يحتاج لدراسـة فى كتاب خـاص، وقام د. مصطفى مـحمود بجـهد مشكور فـى تقريب فهم كـتاب (المواقف والمخاطبات) للقـارئ، فأسماء المواقف المذكـورة فى الكتاب تصدُّ القـارئ السـالك عن قـراءة الموقف لصـعوبة مـعناها فـمـا بالك بالقارئ العـادى. فأسماء المواقف وردت هكذا: (مـوقف المحضر والحرف - مـوقف الكشف والبهوت - مـوقف هُوَ ذا تنصرف - موقف محضر القـدس الناطق - موقف اسمع عهد ولايتك) وهذه أمثله فـقط والقارئ لا يعرف الولاية ولا مـفهومـها كما يقـصده النفرى فكيف يسمع عـهدها؟ وكذلك المخاطبات كلها تحـمل معانى غامضة لا تُفهم إلا ذوقا ومن حاول فهـمها وتفسيرها بعقله أساء الظن بالنفـرى وهذا ما لا نريده لأحـد من خلق الله، فالنفـرى من أولياء الله الأكابر، ومن أساء الظن بهم، ربما لا تُحمد عقباه.

ففى المخاطبة رقم (٤٨) ص٢١٢ من كتاب المواقف والمخاطبات تحقيق د. أربرى . يقول النفرى:

«يا عبد ما توكل علىَّ من طلب منِّى

يا عبد شكانى من اشتكى إلىَّ وهو يعلم أننى بليته»

ويحتار القارئ

إذا لم يطلب العبد حاجته من الله، فممن يطلب؟
وإذا لم يشكُ إلى الله، فلمن يشكو؟

ولكن النفرى يتحدث عن أدب مقام التوكل والتفويض وأدب المشاهدة. فصاحب هذه المقامات يشاهد ذوقا أن الله ليس بغافل عنه، فهو تعالى ليس بحاجة من العبد أن ينبهه إلى طلبه، ويشاهد أن البلاء النازل به من الله هو منحة ونعمة (وكل ما قدّرَ المحبوب محبوب) فكيف يشكو من أمر مَحبوب. ولكل عارف مقام ومرتبة ومنزله ومنها ينطق بما يقول.

فَإذا عرفت مدى غموض ورمزية عبارات النفرى، أدركت ما قام به د. مصطفى محمود من جذب القارئ إلى هذا العالم الغريب عليه ووضع د. مصطفى عناوين مشوقة للقارئ، ولم يضع أسماء المواقف الأصلية، فتجد فى (كتاب رأيت الله) مواقف: الامتحان، حكمة خلق الدنيا وابتلاء الإنسان، معنى اسم الله العزيز: معنى الإسلام ادخل إلى وحدك. وهكذا، لكنه فى نفس الوقت وضع بعض المواقف بأسمائها الأصلية مثل موقف اسمع عهد ولايتك، لكنه يضيف بعض الألفاظ التى توضح الموقف.

يقول النفرى: «لا تتأول علىّ بعلمك» ويضيف د. مصطفى «أى أطعْ أحكامى دون تأويل ودون جدل) ويحذف من الموقف العَبارات التى من المستحيل أن يفهمها إلا عارف مثل قول النفرى: الليل لى لا للقرآن يتلى... فلم يذكر د. مصطفى هذه الجملة. (رأيت الله ص٤٤).

وبمكن القول بأن كتاب رأيت الله مدخل لقراءة النفرى.

ود. مصطفى، يرى أن كتاب المواقف لخاصة الخاصة من أهل الله وليس للعوام الذين يقرأون للمتعة العابرة. ويرى أن أى شرح للنفرى إفقار وليس إخصابا لمعانيه. وتبسيط النفرى للعوام

جريمة فهو كما قلنا يتكلم لخاصة الخاصة. والعلوم التى تعرض لها هى من قبيل العلوم المحظورة على العوام.

ويقول: لهذا آثرت ألا أشرح النفرى إلا فى أضيق الحدود، واكتفيت بتعقيب فى آخر الكتاب. حاولت به أن اتلمس جوهر فكره. والنفرى كأى صوفى لا يشغله إلا شىء واحد هو الله، ولا يرى طريقا إلى التخلص من السوى إلا التجرد وخلع النعلين. والنعلان هماالنفس والجسد. ويوضح د. مصطفى محمود تدرج السالك فى مقامات المعرفة عند النفرى، فيرى أن أول قطار يركبه النفرى فى هذه المرحلة هوالعلم. والعلم عند النفرى مطية ودابة تركبها لهدفك. واخطر الخطر أن تدعها تركبك وتقودك وتجعلها هدفًا. والمعرفة عند النفرى غير العلم؛ فالعلم إدراك الجزئيات (الكون) والمعرفة إدراك (المكون) أى تجليات الله وصفاته وأسمائه وأفعاله وفى طريق السلوك نكتشف أن واجهة العلم لم تعد تصلح للسلوك فى باقى الطريق، وهنا لابد أن نغير المطية، ونستبدل المواصلة ونودع قطار العلم. فلم يعد للعلم جدوى لأننا سنخرج من عالم الجزئيات (الملك والملكوت) إلى عالم الكليات (الجبروت) إلى العالم الإلهى، فلابد من الخروج من ذلك القطار العاجز الذى اسمه العقل والمنطق العقلى إلى مرحلة جديدة يسميها النفرى المعرفة. وهذا يستلزم التجرد من العالم المادى كله، وهو ما يسميه النفرى بالخروج من النفس وبلوغ مرحلة المعرفة إلى الذات بعد معرفة الأسماء والصفات تنتهى المعرفة إلى العجز، فعجز العارف عن الإدراك هو عين الإدراك وهنا يلزم تغيير المطية ويلزم الخروج من المعرفة كما خرجنا عن العلم من قبل إلى مرحلة يسميها النفرى الأدب، وفى مكان آخر الوقفة وهنا يقول النفرى أنه يلزم الخروج من الحرف (الحرف هو كل العلوم والمعارف والخواطر والعبارات والمعانى).

وبعد الخروج من الحرف تأتى مرحلة الرؤية، ثم الرؤية الكبرى ثم المجالسة والصحبة والحضرة الدائمة مع الله، وهومقام الخلَّة والمحبة . ولا يذكر النفرى ماذا يرى فى حالات التجلى فهى منَ الأسرار المحظورة. إذا عرفها الإنسان وهو فى بشريته اختبل عقله وقلبه، والإنسان فى كل هذه المراحل لا يخرج من عبوديته أبدا، إنما رحلته عبارة عن ارتفاع إلى رتبة شرفية من رتب العبودية.

هكذا فى إيجاز وإيضاح على قدر المستطاع. تمكن د. مصطفى محمود من عرض معارف النفرى، وهو من أقطاب الأولياء الذين حار الأولياء أنفسهم فى فهم كلامه.

برنامج العلم والإيمان :

سألت د. مصطفى محمود: كيف بدأت فكرة إعداد برنامج العلم والإيمان؟

قال: كنت أكتب عمودا يوميا بعنوان: تأملات عن العلم والإيمان، ومن خلال تكرار كتابة هذه التأملات. وجدت أن عرضها فيه فائدة كبيرة لمشاهدى التلفزيون، والدين الإسلامى أقرب الأديان للعمل والعقل، ومدخل لعالم العلم الحديث، وبدأت البرنامج بمجهود فردى، كنت أدور على السفارات الأجنبية فى مصر، وأستعير منها الأفلام التى أقدمها فى التلفزيون، ثم بعد أربع سنوات لم أجد أفلامًا جديدة، نفدت كل الأفلام الموجودة فى السفارات فقامت شركة الرياض للإعلام بمساعدتى فى الحصول على الأفلام من الخارج، وتبنّت البرنامج. ويسَّرت لى السفر إلى إنجلترا وأمريكا وغيرهما من الدول، فكنت أذهب إلى هذه الدول، وأمكث هناك شهرًا أو شهرين، أبحث عن الأفلام المناسبة، وقدمت ٤٠٠ حلقة وابتدأ البرنامج عام ١٩٧٠.

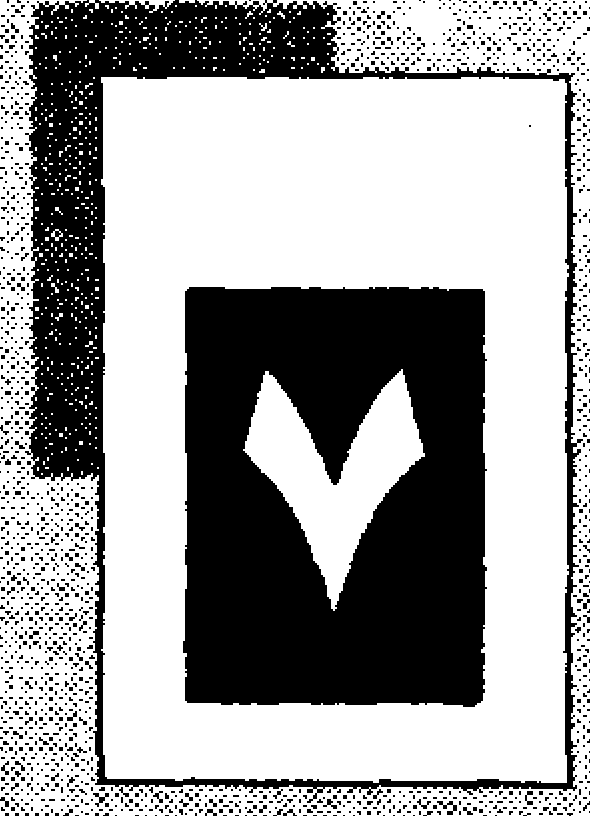
أقـول: برنامج العلم والإيمان من أحـسن البرامج التى قـدمهـا التلفـزيون ولو ســألت المـشاهـدين. مـا هـى أحـسـن البـرامج فى التلفزيون؟ لقـالوا برنامج العلم والإيمان، ولا أدرى ما ســبب عدم إذاعــة هذا البـرنامج الذى يطلبـه الناس، ويرتفع بذوقــهم ويقــوم أنفسـهم ويبصرهم بالحقيقة ويدعوهم إلى معرفة الله، فى وسطية واعتـدال وبساطة. والذى يهم القــارىء الذى يريد معرفــة الجانب الصـوفى فى هذا البـرنامج. هو مــا قدمــه البـرنامج من حلقــات توضـح العالم النورانــى، عالم الروح. وطبعــا لا يمكن تصوير هذه العوالم فى أفلام، لكن الدكتور مصطفى اختار بعض الأفلام، التى تدور حول هذه العوالم، فأذاع حلقــة عن الهالة الروحية أو الجسم الأثيـرى المحيـط بالإنسان، وقـد أمكن تصـوير هذه الهـالة بآلات تصوير حديثــة جدا، وهى عبارة عن شريــط ضوئى يحيط أو قل جسم ضوئى يحيط بجسد الإنسان، وتختلف ألوانها، فهى فى أهل الصــلاح خــضــراء وتزداد ضــوءًا بالعــبــادة، وفى أهل الفــســاد والمجرمين والســفاحين زرقاء، وعلَّق د. مــصطفى على هذه الحلقة تعليــقــا يجب أن تعاد إذاعــتــه كل فــترة؛ لأنه يذكِّر الناس بيــوم القيامة، أكــثر من أى حديث أو خطبة أو مقال. قــال: الهالة الزرقاء فى المجـرمين دليل على ما فى قلـوبهم من حقــد وضـغـينة وكفــر وضــلال، دليل على طبــيعــتــهم النارية فــأين تذهب هذه النار فى الآخرة؟ لابد أن تختلط بالنار التى تناسبــها قال تعالى: ﴿ يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ [طه: ١٠٢]، حيث يزول الجسد وتبــقى هذه الهالة، وقال: يعنى كيس الزبــالة، نرميه فين؟ فى كوم الزبالة طبعا، وأهل الجنــة بما فيهم من نور الآن، يذهبون إلى عالم النور، فــكل واحد يعود إلى أصله، وها هو الـعلم يصور لنا بالكاميرات هذه الحقائق.

فقل لى يا أخى، ما هو المانع من إذاعة هذه العلوم الراقية، والمعارف السامية، والله تعالى خالق كل شىء، وما أوجد التليفزيون فى الدنيا إلا لإذاعة مثل هذه البرامجِ التى تقرِّب عباده منه سبحانه وتعالى، وفى حلقات كثيرة، يبصِّر المشاهد، بالقوة الروحية الكامنة فيه، وأنه يعيش بعُشر ما فيه من طاقة، ويدعوه لتنمية هذه الطاقة الروحية بالإيمان والعبادة، ويتحدث فى الدعاء المستجاب ومدى تأثيره فى تحقيق المستحيل، والظواهر الخارقة مثل الإيحاء الذاتى والتنويم المغناطيس وقراءة الأفكار، والتأمل الذى يشفى الأمراض. وينبه القارىء أنه يملك أعظم القدرات إذا عبد الله حق عبادته فيكون عبدا ربانيا فيقول للشىء كن فيكون، ولا يمكننا استقصاء كل الحلقات والحديث عنها، ولكن نشير فقط إلى أهمية هذا البرنامج العظيم، والذى يذاع الآن فى بعض الدول العربية، ولا يذاع فى مصر، وقد فقد التليفزيون بعدم إذاعته جمهورا كبيرا من الناس البسطاء الأسوياء، ولا ندرى. إذا طالبنا بإعادة إذاعته بانتظام بل باهتمام والإعلان عنه، كما نعلن عن بقية البرامج. ماذا سيكون الجواب من المشرفين على التليفزيون. ندعو الله تعالى أن يبصِّر الجميع بفعل الخير إنه هو السميع العليم.



د. مصطفى محمود

والتصـــــوف



تبصير
وتنوير

هذا الفصل، هو للعقل تنوير، وللقلب تبصير، يحتاجه الصغير والكبير والغافل والمتغافل، والعالم والجاهل، والواقف والسالك، والناجى والهالك، والغنى والمحروم، والحاكم والمحكوم، فما هو غيب مكنون ولا علم مضنون، هذا الفصل يجب أن يعرفه الرجال والنساء والأصدقاء والأعداء ، واليقظان والسادر، والمؤمن والكافر. فعلى كل جاهل وعالم أن يتبصَّر بشئون العالم، وأحوال هذا العصر، الذى شاع فيه الخُسْر والكذب والتضليل فى الكثير والقليل، وأصبح الصحيح عليلا، والعليل قتيلا، وامتلك ناصية الأمور كل بطَّال ميسور، وتكاثر النفير حول السفاح والمجرم والحقير، وذلَّت النفوس الفاضلة، والبواطن الكاملة، وليس لنا إلا لطف الله، فليتضرع كل واحد إلى مولاه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

البصيرة:

أتساءل كثيرا وأنا أقرأ سلسلة كتب (مجموعة الصراع العربى الإسرائيلى) هل د. مصطفى خريج كلية السياسة والاقتصاد؟ هل هو زعيم سياسى؟ هل هو وزير خارجية؟ هل هو فقيه؟ هل هو رجل حرب؟ هل هو خبير إعلام؟ نقول: لا، إذن ما هذا السر الذى جعله يسهِّل فهم أكثر الأمور تعقيدًا، ويطرحها أمام القارىء فى بساطة نادرة، إنه كاتب وفنان ومبدع، يصوغ أفكاره فى قالب الرواية والقصة القصيرة والمقال الأدبى. فما هذا التحول المفاجىء،

الذى بغت به جميع القرَّاء وأدهشهم، فى كتابة هذه المجموعة؟ كيف يكتشف الخبايا التى تدور فى كواليس السياسة والأمم المتحدة، والخبرة التى تجدها فى كلامه عن الاقتصاد والإعلام، والحرب المعلنة والمستورة، والإرهاب والرياء، والبنوك وما تفعله إسرائيل، وما يحدث فى السودان، وإيران، وكل شئون العالم يتحدث عنها كأنه عايشها، أو أحد المسئولين عنها؟ إنها البصيرة القلبية أولا، والعلم والاطلاع والثقافة عاشرًا، وليس ثانيا. وقد أردت أن أعرف الحقيقة فسألته عن هذا السر، فأجاب بما قلته الآن: البصيرة لا أكثر. هذا هو رأيه فيما كتب. والبصيرة، لا يمتلكها إلا أهل الله، أهل الطريق الصوفى، والمؤمنون الصادقون فى إيمانهم المطيعون لربهم، بقلوبهم وأرواحهم.

ومجموعة كتب (الصراع العربى الإسرائيلى) لا تخلو من التصوف ؛ ففى خضمٍ حديث د. مصطفى عن الأحداث العالمية والكوارث والحروب والزلازل والفساد، التى تجعل القارىء يلهث ويُصاب بالدوار، نجده يجلس مع القارىء جلسة روحية، ويحدثه عن العارف بالله، ثم يبصِّره بحقيقة ما يحدث فى العالم، ويعود بين الحين والحين إلى هذه الجلسة، ويقول له: مقاليد الأمور كلها بيد الله ، فلا تيأس. ويمضى بنا فى كتاباته على هذا النحو.

وإذا كان السالك من أهل الله لا يريد أن يشتت نفسه بأحوال العالم فى الداخل والخارج، فماذا يفعل مع أسرته، وأولاده ضحية الغزو الثقافى؟ ولا يستطيع أحد أن يمنع تسرب الأفكار التى تقتل الفضيلة والأخلاق، والتى يسمعها أولادنا ويقرأونها فى الصحف والمجلات، ويشاهدونها فى التليفزيون.

وعلى المسلم الحقيقى والصوفى الحقيقى، أن يكون كيِّسا فطنا عالما، عابدًا، زاهدا، جريئا صريحا، حكيما، إداريا، إلى آخر هذه

الصفات التى يجب أن يتصف بها فى هذا العصر الغريب. وقد قام د. مصطفى محمود بتقديم كل ما يهم القارىء من صواب وخطأ فى أكثر الأمور الداخلية والخارجية، ومؤلفاته تغنى القارىء الذى لا يستطيع أن يتوسع فى قراءته لضيق وقته بل تكفيه مؤنة هذه القراءة.

تناول كاتبنا أكثر القضايا المعاصرة، فى حياد، وهدوء، وبصيرة وعلم، دون تشنج أو عصبية أو عداوة أو غلٍّ، بل يتحدث بتواضع وافتقار إلى ربه فى كل نَفَس أن يمنحه العَون والتوفيق. وهو فى كل ما يقول، يرجو الخير والهداية لجميع الخلق ويدعو للتى هو أقْوم، وأقول للرفاق الذين يتهمون د. مصطفى بأنه تحامل على المرحوم الرئيس عبد الناصر، لأنه صادر مؤلفاته ومنعه من الكتابة عاما كاملا، أقول لهم: وهل فرويد والمتنبى وسارتر ونيتشه، وماركس، ولينين، ومايكل جاكسون ومادونا و...... منعوا د. مصطفى من الكتابة؟. شيئا من التعقل أيها الرفاق، فأنتم بشر، خلق الله لكم عقولا تفكر، ولستم اسطوانات، ولا شرائط تسجيل، تقبل كل ما يُسجل فيها ثم توضع فى آلة وتُصدر الكلام، فلا تكونوا آلات تحركها أيدى البشر، فهم بشر أمثالكم.

وسوف نختار بعض المضامين التى أوردها كاتبنا، ونختار المضمون الواحد من أكثر من كتاب، ولندعُ جميعا للدكتور مصطفى محمود بأن يجازيه الله خيرًا، ويحفظه هو وأمثاله، ممن يدافعون عن الحق ويرفعون راية الإسلام ، ويعلِّمون الجاهل، ويهدون التائه إلى الطريق المستقيم. ويضيئون الأنوار لمن يعيش فى الظلام.

يا أخي المسلم ويا أخي المسيحي:

يقول د. مصطفى لكل مسلم ولكل مسيحي على أرض مصر:

اعلم أن هناك ورقة امتحان مقدمة حاليا لمسلمي مصر ونصاراها يرى الله ماذا سنفعل أمام الغوايات والفتن.

هل سنفعل ما فعلته الطوائف الدينية في لبنان: فنخسر نفوسنا ونخرب بلادنا بلا ثمرة؟

واعلم أنه إذا طابت العشرة بيننا فمصر دار سلام وأمان لكل الأديان. الإسلام يا أخي المسيحي دين سماحة ووفاق ومصالحة، وصدر مفتوح. ورغم أن اليهود من أشد أعداء الإسلام، فقد كان بيت المال يخرج المعاش لليهودي العاجز كما يخرجه للمسلم دون تمييز.

واعلم يا أخي المسيحي أنه في القرن الماضي كان يعيش المناضل الجزائري الأمير عبد القادر. فماذا كان يفعل مع المسيحيين أثناء حربه مع فرنسا؟ كان يعاملهم معاملة الضيوف الكرام لان الأسير مكسور الخاطر ذليل مهما كان قدره. كان يأمر لهم بأطيب الطعام وأحضر لهم رجل دين مسيحي ليخفف عنهم قسوة الأسر ويصلي بهم. وكان يأمر بإعفائهم يوم الأحد من الخدمة احتراما للدين المسيحي. وكان يعيد النساء الأسيرات مكرمات ويأمر جنوده بعدم أسر النساء. ولما انتشرت أخبار حسن معاملة الأسرى بين الفرنسيين رفضوا مبدأ مبادلة الأسرى كي لا يتحدث الأسرى بين ذويهم عن كرم الأمير المسلم، وأخلاق الإسلام وسماحة الإسلام فينقلب الجنود على قوادهم، ولما علم الأمير بذلك أطلق سراح أربعة وتسعين أسيرًا بلا فدية ولا عوض. هذا في الحرب.

أما في السلم، فكان يعيش في دمشق، ووقعت فتنة رهيبة بين

المسلمين والنصارى، فماذا فعل؟ سارع إلى الأحياء المسيحية هو ورجاله لحمايتها وآوى فى بيته الرهبان والراهبات والقناصل، وقُتل بعض رجاله الجزائريين، قتلهم الرعاع الذين سعوا فى إحداث الفتنة، ولما أرسلت أوروبا حملة كبيرة وأساطيل وطائرات لضرب دمشق، اجتمع مع قائد الحملة وأقنعه بالعدول عن هجومه وقال له: إن حمايتنا لإخواننا المسيحيين ما هى إلا عمل بالشريعة الإسلامية. والعدوان الذى حدث كان من رعاع جهلة، وقال رسولنا محمد ﷺ: «من ظلم معاهدًا أو ذميا أو واحدا من أهل الكتاب، أو كلفه فوق طاقته أو أنقصه شيئا من حقه، أو أخذه منه بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة» تلك هى حقيقة الإسلام، وما يحدث يا أخى من اعتداء على النصارى فى صعيد مصر هو إجرام وليس إسلاماً. فاعلم هذا جيدًا.

ويبصرٍ د. مصطفى محمود الإخوة المسيحيين فيقول لهم:

اعلموا أنه قد صدرت طبعة مزورة للإنجيل بالقدس عام ١٩٧٠ من دار النشر اليهودية. يحدث هذا اليوم وفى هذا العصر، وتحت سمع الكنيسة وبصرها، ومع ذلك نرى أمريكا المسيحية تؤيدهم وتساندهم بالمال والسلاح وتسكت الكنيسة الغربية عن جرائمهم.

ونحن ننتظر من كنيستنا الشرقية، وعلى رأسها رجل مستنير هو الأنبا شنوده أن يقوم بالاحتجاج والتجريم لهذه الأعمال علىٍ مستوى العالم، وأن يستنهض الكنيسة الغربية إلى عمل موحد لفضح هذا التدليس التاريخى.

وإذا أردت يا أخى المسيحى أن تعرف تفاصيل هذه الجريمة، فاقرأ كتاب د. مصطفى محمود (القرآن كائن حى - دار المعارف) من ص٧٥ - ص ٨٤، والكتاب ليس من مجموعة كتب الصراع العربى الإسرائيلى، ولكننا ذكرنا هذا الكلام لأنه يدخل فى نطاق

ما نتحدث عنه، وهو تبصير الكاتب للمسيحيين بالحقائق، وتنويرهم بالمعارف، كما يفعل ذلك مع المسلمين، فالجميع إخوة له ولنا ولجميع المسلمين، فأدرك ذلك جيدًا وتيقنه.

يا أخي المسيحي :

يقول لك د. مصطفى محمود. في آخر كتاب صدر له (إسرائيل البداية والنهاية) صـ ١٣: ذكرت المنظمة الصهيونية العالمية عن مصر في مجلة (كيفونيم) أي التوجهات عدد فبراير ١٩٨٢ الآتي:

إن مصر بصفتها القلب المركزي الفاعل في جسد الشرق الأوسط نستطيع أن نقول إن هذا القلب قد مات وإن مصير مصيرها إلى التفتت والتمزق بين المسلمين والأقباط، ويجب أن يكون هدفنا في التسعينيات هو تقسيمها إلى دولة قبطية في الصعيد ودولة إسلامية في الوجه البحري.

فافهم يا أخي واعلم جيدا أن إسرائيل وراء ما يحدث من فتن بيننا، ويجب علينا أن لا ننقاد - إلى ما تريد تحقيقه - أمامها كالأغنام، فنحن لنا عقول نفكر بها.

ويقول لك في نفس الكتاب ص ١٠٤:

يقول اليهود: إن القادم من السماء، هو المسيح الحقيقي وأنه ملك اليهود، وإن الذي جاء من قبل، لم يكن هو المسيح، ولهذا لم يؤمنوا به ولم يتبعوه.

هكذا يقوم كاتبنا بتبصير المسيحيين بالحقائق، وما الذي يُدبَّر للمسلمين والمسيحيين في الخفاء، فيا ليتنا نسمع هذا الكلام ونعيه جيدًا ونعمل به.

اللــــه :

لا يكتمل إيمان المرء حتى يدرك أن كل ما يحدث له شفرة يقول بها الله شيئا وهمسة يهمس بها في أذنه.

الميكروب الذى يُمرض فى الظاهر، الله هو الذى أرسله وكلَّفه، فلا شىء يحدث فى الكون خلسة من وراء خالق الكون. السقف الذى ينهار على السكان يحدث فى ميقات معلوم، وكان من الممكن أن ينهار والبيت خال من سكانه. الخلية السرطانية لا تنشط إلا بأمر من ربها ولا تتوقف إلا بأمر آخر منه، والمؤمن يرد كل شىء إلى مشيئة ربه، ويرى ما يجرى عليه من مقادير رسالة خاصة وشفرة يخاطبه بها، ويرى كل شر يصيبه فى باطنه خيراً وكل بلاء فى مضمونه حكمة. وبدون الله وبدون الدين لا معنى لأى شىء، وإنسان العصر الذى يعيش فى أوروبا وأمريكا بدون إله، يعيش حياة رخاء ولذَّة وقوة، ولكنها حياة أقرب إلى الانتحار؛ ذلك لأن الخواء يملؤها واللا معنى فى صميمها، ولو سألونى لماذا آمنت؟ لقلت فى يقين: لأنه بدون الله لا معنى لى ولا لأى شىء.

والأرض أرض الله، والكل فى ضيافته. لا مالك هنا سوى الله. والخلق ضيوف لبرهة تطول أو تقصر، أتوا عرايا ويعودون عرايا، إنها ضيافة وليست إقامة. دار عبور وليست دار خلود. والكل يبنى أبراجا وينفق الملايين المزخرفة وهو مسافر مرتحل، إنها حالة من السفاهة العامة والغفلة العامة، نحن فى قطار، حظنا من الدنيا النظرة من عربات القطار.

يقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

يقول له ذلك، وهو الكامل والرسول.

فإذا لم يكن فى قدرة النبى ﷺ ولا باستطاعته أن يوحِّد العرب ومعه جبريل والجند العالون من الملائكة أفيكون ذلك باستطاعة عصمت عبد المجيد رئيس الجامعة العربية؟! الله وحده بيده مقاليد كل شىء، وكان الرسول ﷺ يسجد متضرعا مفتقراً إلى الله فى

طلب كل ما يريد، وهل كان النبى ﷺ والقلة من صحابته يملكون إلا هذا السجود، الذى أصبح مفتاحا لخزائن التاريخ؟ ففى ظروف عجزنا الحالى والحصار المضروب حولنا سيكون سجودنا لله هو أكبر قوة، نملكها بحساب الغيب.

ومن علامات محبة الرب لعبده أن يشعره بالحاجة إليه وأن يقطع عنه الأمل فيما سواه، ولم تكن ولادة محمد ﷺ يتيما مصادفة بلا أب ولا أم، وإنما كفيل من أهل بيته وليس من دينه، ثم كل عشيرته ينقلبون عليه إلا صحبة قليلة ذليلة وتلك علامة من علامات أهل القرب، وقد سلط الله إسرائيل علينا وناصرتها أقوى الدول، وتلك بشرى، فقد انقطعت صلتنا بالسماء فأراد الله أن يلفتنا إليه، كما يفعل مع أهله وخاصته.

يقول صاحبى: أهو تصوف؟

– بل صميم الدين ولب الإسلام. أصدَّقتَ القائلين بأن الدين عندنا لحية وجلباب وفقه حيض ونفاس؟ بل هو السجود لله، فاسجد واقترب وابك على خطيئتك، فالدين من هنا يبدأ.

والأسباب ؟

الله وحده سوف يمدك بها وليس الأمريكان.

والعلم؟ اتقوا الله ويعلِّمكم الله.

هل بعد القبر شىء؟ بعده كل شىء.

متأكد؟! أكثر من يقينى برؤيتك.

كيف أبلغ هذا اليقين؟

تسجد معى وتقترب.

يا أختى المحجَّبَة :

يقول لك د. مصطفى محمود:

لا أفهم هذه الموجة من التهجم على الاحتشام، وعلى رمز دينى من رموز التقوى والعفة هو الحجاب، ويُقال إن المحجبات قبضن

ألوف الدولارات وأحيانا ملايين. كلام ساذج ومضحك، فاللاتى يقبضن يأخذن الأجر على الخلْع لا على اللبْس، وتجارة العرى هى التى تكسب، ولن يكون للعفة سوق فى هذه الدنيا، إنه لأمر مُخزٍ ومحزن أن تشيد الصحافة بعرى مادونا وتهاجم رموز الاحتشام. فى أى صف يقف هؤلاء الصحفيون؟

ولكن يا أختى المؤمنة. اطمئنى، فالبلاء دائما حظ المؤمن، وكلما ازداد الإيمان اشتد الامتحان، ولا شىء يضيع عند الله، ومهما تصايح الساخرون. أقول: لا نرى ولا نسمع ولا نتكلم، والموعد الله.

الجن وعلاج المس :

الجن موجود ويمكن أن يضر ويسبب المرض، والمس الجني موجود في القرآن ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١]، وعن التداوى بالقرآن فالقرآن كلُّه بركة ولا شك فى ذلك. ولكن محترفى العلاج أغلبهم من العوام وليسوا أهل فقه، وقد تكاثر هؤلاء الأدعياء وأصبحوا مثل أكشاك الكوكاكولا، ومن جعل تسبيحه طول الوقت الله، الله. لن يصيبه جن ولا سحر ولا حسد ولا شيطان. وكذلك الاستغفار، والشيطان أضعف منك كيداً ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

الإعلام وشبابنا البائس :

الشباب، بل الكبار، انبهروا بكل ما يُقدم لهم من وارد الغرب من فن فى الكتب والمجلات والسينما والتليفزيون، فن قتل الوقت كما يسميه د. مصطفى محمود، وأتحسر على شبابنا حين أقرأ أن واحداً من أساتذتهم وقدوتهم فى الجامعة، يموت بالسكته القلبية حين شاهد هدفاً يسجل فى مرمى النادى الذى يشجعه، هذا هو

أكـبر هَمٍّ ينـشغل به أحـد أسـاتذة الجامـعـة، فـماذا يكون حـال تلاميذه؟!

يقول د. مصطفى لشباب مصر وفتياتها عن الإعلام:

إن كل شبكات التليـفزيون فى أمريكا أصـحابها يهـود. وكذلك الإذاعات والصحف. ودور النشر وصناعـة السينما كلها فى أيدى يهود وكل رئيس أوروبى حوله بطانة أغلبـهم من الصهاينة، وكان جميع مسـتشارى ميتران من الماسـون، وهذا الكلام وارد فرنسا، وليس من بنات أفكارنا، فـالنفـير الصـهيـونى يزعق من وراء كل فيلم، وكتاب وإذاعة وتليفزيون.

وانظروا إلى سـذاجـة الإعـلام يقـول د. مـصطفى عن مـؤتمر السكان:

جـرائدنا تعـيش هذه الأيام فى مـحفل كـاذب، ومـانشت ببنط عريض (إعـلان القاهرة يحـدد مستـقبل البـشرية لعـشرين سنة قادمة) هكذا ببساطة شديدة، أى مجـموعة من العباقرة تقدر على تحديد المستقبل، إن أصحـاب تلك المانشتات لا يضمن الواحد منهم عـمره لمدة عـشرين دقـيقـة، فمن أين جـاءوا بهذا التـفاؤل، إنهـا الهيصة والزيطة والمولد. مؤتمر السكان فى بنوده إنفاق الدولارات لتـخـفـيض المواليـد، ولا يوجـد بند واحـد لإنفـاق الدولارات فى التنمية.

ويقـول: أنا معـجب بالعلم فى الغـرب وأتابع وأتعلم وأتتلمـذ. ولكن انظروا إلى فنون الغرب: الغناء رقص وصراخ يصك الآذان، والسـينما جنس وعنف، والرياضـة جنون الشـهرة وسعـار المال، والسياسة التحالف على كل مسلمى الأرض لأن الإسلام فى رأيهم طاعون المستـقبل. هذا هو الغرب الذى تعبـدونه، وليس كله عسلا كما ترون، فلا تبالغوا فى تحمسكم ولا تبالغوا فى إعجابكم.

ويقول:

الحضارة المادية تنمو على حساب الروح، وقتل الضمير ديانة جديدة ، والمبشرون بها مايكل جاكسون ومادونا، وسلفستر ستالونى، وشوارزنجر.

سألت د. مصطفى عن الهدف من نشر الروايات وعرض أفلام الرجل الأخضر والخارق ورجل المستحيل؟

قال: إعلام الناس أن الإنسان قادر على كل شيء. وعلى فعل المستحيل، وتحقيق ما يريد تحقيقه مهما كان صعبا، فكرة السوبرمان عند نيتشه، وأن يكون هذا الإنسان بديلا لوجود الله سبحانه وتعالى، فالهدف محو وجود الله تعالى من أذهان الناس، وهى فكرة يهودية خبيثة يخططون لها بتدبير محكم وإتقان محسوب بدقة، ويرضع الأطفال لعب الأتارى والكمبيوتر والكبار دروسهم الخصوصية، التى تبثها الأقمار الصناعية، الممارسات الجنسية وآخر أوضاعها، ووسائل الإجهاض، أحدث مبتكرات العلم الحديث. تستخدم لترويج أسوأ وأحط سلعة ظهرت فى التاريخ. بدلا من تجويد الإنتاج، وتحسين الزراعة والصناعة.

وشبابنا يقع فى الأسر وإضاعة الوقت وإتلاف العقل وتبديد العمر فيما لا يفيد، يحملقون طول عمرهم فى التليفزيون لا أحد يقرأ أو يتعلم.

وعن السينما العالمية يقول:

قال النجم السينمائى مارلون براندو وهو يهودى: إن اليهود يسيطرون على هوليود، وقامت قيامة الصهيونية عليه، أصبحت الأفلام كوابيس عن إطلاق الرصاص وتفجير القنابل والشخوص المدمرة، التى تنسف وتدمر وتقتل. وهذا الحال أصاب السينما فى العالم كله بالعدوى. وهذا لم يحدث عفويا وإنما بخطة وتوجيه وإرادة.

وعن الأغانى الأوروبية التى انبهر بها شبابنا يقول:

فرقة البوب فى ألمانيا، أغانيها صراخ، وصياح، وعنف. يقولون عن المهاجرين إلى ألمانيا وكلهم من الترك والمغاربة والجزائريين والباكستانيين:

اقتلوا أطفالهم.

احرقوا بيوتهم

استأصلوا شأفتهم.

خربوا ديارهم...

أى المطلوب تخريب ديار كل المهاجرين فى ألمانيا.

ولا أدرى يا سيدى هل يردد شبابنا هذه الأغنية أم لا؟ وهل أذاعها برنامج (العالم يغنى) ؟ يجب أن نلتفت إلى هذا الأمر، والعالم الذى يغنى هو أوروبا وأمريكا فقط. أما دول الشرق الأوسط والعالم العربى فلا تغنى إلا فى شهر رمضان.

وعن المسلسلات الأجنبية التى يعرضها التليفزيون يقول:

المشاهد لمسلسلات التليفزيون، والمسلسلات الراقية وارد أمريكا، الجرئ والجميلات. ماذا ننتظر منه؟ ماذا ننتظر من أسرة مصرية تجلس لتشرب جرعات الانحلال فى عبوات من الزينة والبهرج، شهوات، ومثيرات تأخذ بالمشاهدين إلى أسفل، المسلسل يقول: إن العفة والطهارة والفضيلة والوفاء والإخلاص علامة تخلف ورجعية. وشعار المسلسل: لا حياء ولا أخلاق، ولا خيانة أن تخطف زوجة أخيك أو ترى زوجتك فى فراشه، هذه أمور طبيعية، وما نراه هو مُعَدٌّ بتفكير وتدبير وتجهيز دقيق لإغراق وإفساد وتفكيك بنائنا الاجتماعى، ونحن نشترى هذه الجرعات السامة بأموال دافعى الضرائب، والذين يظنون أنهم بهذا يحدون من غلوّ الموجة الدينية هم على خطأ، فإنهم سوف يستنفرونها.

وكاتب المسلسل يهدم أشرف ما ورثناه وهو يبتسم كل ليلة.

ولكننا لا ننكر أن التليفزيون يقدم مسلسلات جيدة وهادفة، فليس كل ما يقدمه سيئا . نقول هذا إنصافا للحق، لقد أصبح التليفزيون الوعاء الأول للكلمة، ثم بعد مسافة تأتى الصحافة، ثم أخيرا الكتاب.

وما هو المقصود من البرامج التى تنتهى الرابعة صباحا؟ إذا قلتم: هناك بعض الناس أصحاب أعصاب مرهقة لا يواتيهم النوم. نقول: هؤلاء أصحاب أعصاب خربة، لا يدخلون فى خطة البرامج العامة، وإنما يدخلون في اختصاص وزارة الصحة.

والعجب كل العجب أن يحتفظ الإنسان بعقله وسط ما يحدث.

أفيقوا أيها الناس يرحمكم الله.

فأنتم غدًا ميتون، ثم أمام الله واقفون.

أقول: لعل شبابنا يعقلون هذا الكلام ويراجعون أنفسهم، وكذلك المسئولون عن التليفزيون، فالدكتور مصطفى محمود لا يريد إلا الخير والفائدة لهم.

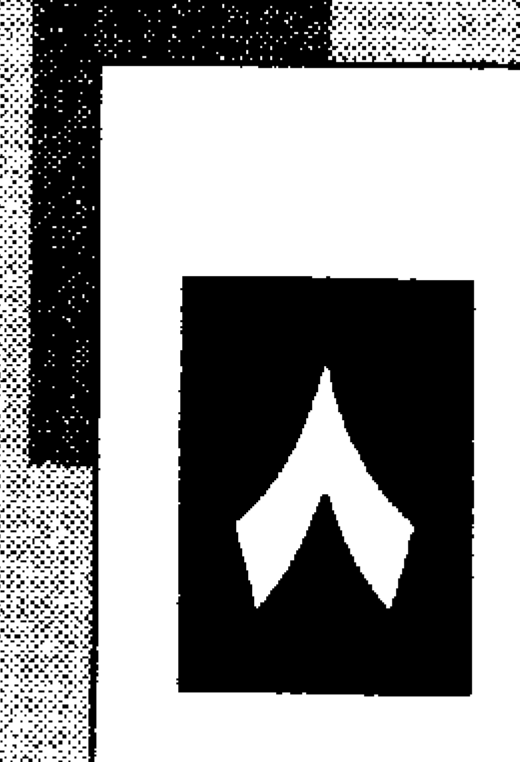
وقد أشرنا فقط إلى بعض تبصيرات كاتبنا لقرائه، ومن أراد أن يتبصر أكثر، فليرجع إلى مؤلفاته. فهذا هو التنوير الحقيقى الصادق، وما عداه إظلام، وإغراق القارىء فى ظلمات بعضها فوق بعض، ونكرر أن د. مصطفى محمود، كشف هذه الأمور الخفية نتيجة بصيرته النورانية، وإلهام الله له، وصحبته لأهل الله، من الصوفية العارفين الأكابر.



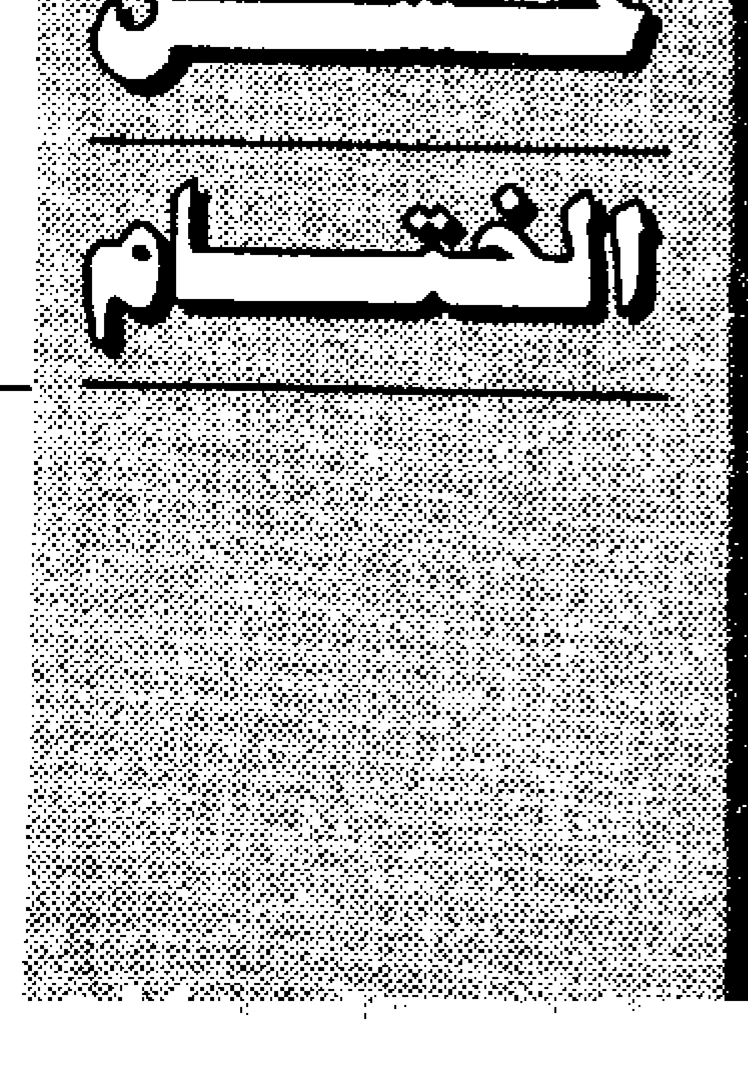


د. مصطفى محمود

والتصـــــوف



حسن الختام



حسن الختام هو ما يتمناه ويسعى إليه كل إنسان مؤمن، والعبرة بالخواتيم، وكلنا نرجو من الله أن يختم حياتنا برضاه عنا وحبه لنا؛ فحب الله للعبد عناية عظيمة لا تضر معها معصية، وبغضه للعبد مصيبة كبيرة لا تنفع معها طاعة، وحب الله للعبد أساسه متابعة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ومن علامات حب الله للإنسان، إلقاء حبه فى قلوب الناس دون سعيه إلى ذلك، وإن سعى إلى هذا الهدف لن يناله، وإن ناله سوف يفقده عن قريب؛ فالقلوب بيد الله، والذى يحبه الله تحبه جميع المخلوقات، قال ﷺ عن جبل أُحد: (هذا جبل يحبنا ونحبه) بما فيهم البشر، فلا يبغضه إلا منافق أو فاجر، ويكتب الله له حسن الختام إذا ظل متمسكا بالكتاب والسنة عن بصيرة لا عن جهل، حتى يلقى ربه، وندعو الله أن يكتب للدكتور مصطفى محمود حسن الختام.

ود. مصطفى -ولا أزكى على الله أحدًا- كاتب أحبه الأكثرية من الناس، ومما يغبطنا أنه صار قدوة لأغلب أولادنا المستنيرين الذين نشأوا وتربوا على حب الأخلاق الفاضلة والأهداف العظيمة، والدليل على حب الناس له، إعجاب كل مشاهدى التليفزيون ببرنامج العلم والإيمان. وقد سأل مرة أحد المذيعين الجمهور عن أحب البرامج إلى أنفسهم فأجاب أغلب المشاهدين: حديث الشيخ

الشعراوى والعلم والإيمان لمصطفى محمود. وبعض البرامج نالت نسبة من إعجاب قليل من الناس، والدليل الثانى: أنه كان ضيفا فى برنامج (دردشة) وانتظره المشاهدون بفارغ الصبر، وبعد إذاعته انهالت الطلبات من الجمهور على مقدمة البرنامج، يرجونها أن تعيدالحلقة مرة ثانية، وهو الضيف الوحيد فى هذا البرنامج الذى رغب الناس فى مشاهدته مرة ثانية، وأعيد تقديم الحلقة.

والذين يحبون د. مصطفى هم جمهرة الناس البسطاء الأسوياء. وتفرح أى أسرة منهم إذا قال أحد أولادهم أن مثلى الأعلى مصطفى محمود. وقد سمعت ذلك من الكثيرين ، وهم يشعرون بالاطمئنان إذا وجدوا أولادهم يقرأون مؤلفاته، وهذا من حب الله له، ولا أدرى لماذا لا يفسح التليفزيون مجالا له ولأمثاله، كى يشاهدهم الناس، إذا كان المشرفون على التليفزيون يرغبون فى إرضاء أذواق شتى طبقات المجتمع؟ ويشهد الجميع أن حديثه ممتع وجذَّاب وطريف ومُسل ومفيد جدا، وكثير من المشاهدين تغيرت أحوالهم إلى الأحسن بفضل مشاهدة برنامج العلم والإيمان.

ونحن لا نجامل د. مصطفى بما ذكرناه، فليس المشهور أفضل من المستور. والله أعلم بالقلوب، فقد يكون العكس هو الصحيح، وكاتبنا يعرف ذلك جيدا.

ونحن فى عصر انتشرت فيه الرذيلة والفساد وانكبَّ الناس على الدنيا، أى انتشر وباء مرض القلوب والنفوس، فلابد من حملة لشفاء الناس من هذا المرض، كما تقوم وزارة الصحة بحملة تطعيم ضد أى وباء. وليس هناك وباء أشدً من انتشار وباء فساد الأخلاق.

والذين يقومون بالتصدِّى لهذا الوباء هم أهل العلم مثل

د. مصطفى وأمثاله. فهو يتحدث فى اعتدال ووسطية وتعقل ورؤية للأمور هى إلهام الهى، وهو يحاول جمع الصف الإسلامى والمسيحى فى مصر، وينصح المسلم كما ينصح المسيحى، ويهاجم الإرهاب والتطرف بعرض أسباب وجيهه ومقنعة. ويأتى بأفكاره من الواقع، فهو يرى أن الوثوب على السلطة والحكم باسم الإسلام تضليل وخداع، ودليله ما حدث فى أفغانستان والسودان، ويحاول كشف الدسائس الصهيونية التى تسعى إلى غرس الفرقة والصراع بين الدول العربية، ويسعى فى كتاباته إلى جمع العرب فى قوة واحدة، وتوحيد المسلمين فى شتى أنحاء العالم ووقوفهم معًا، ويدعوهم إلى رفع راية الإسلام الحقيقى الذى يتسم بالسماحة والعفو والقوة فى نفس الوقت. وهو رجل لا يسعى إلى سلطة أو منصب، بل رفض ذلك حين عرض عليه الرئيس السادات تولى بعض المسئوليات فى وزارة الثقافة؛ فتحمُّل المسئولية بلاء عظيم، كان يفرُّ منه الصحابة رضوان الله عليهم، وعمر بن عبدالعزيز أوضح مثال على ذلك، فقد قال حين تولى الخلافة: «أشيروا علىَّ فقد ابتلانى الله ببلاء شديد!».

وكونه يرفض المذهب المادى الشيوعى، الذى هو بعض أسباب الهجوم عليه حتى الآن حقٌّ، فكل من يعرف الله، ويتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الله يرفض هذا المذهب الإلحادى، وقد رفضه المرحوم الغزالى، والشيخ الشعراوى، ود. يوسف القرضاوى، وكل المسلمين الذين يعرفون الدين الصحيح، وكتابنا يدور حول الجانب الصوفى من حياة د. مصطفى وأعماله، والتصوف درجة عالية من الإسلام، هى مقام الإحسان، وقلنا إن كاتبنا محب وعاشق للتصوف، وها هو يعيش الحياة طولا وعرضا، ولا نقصد الدنيا الزائلة، بل الدنيا لله وللآخرة. فنراه يكتب ويسافر إلى كل

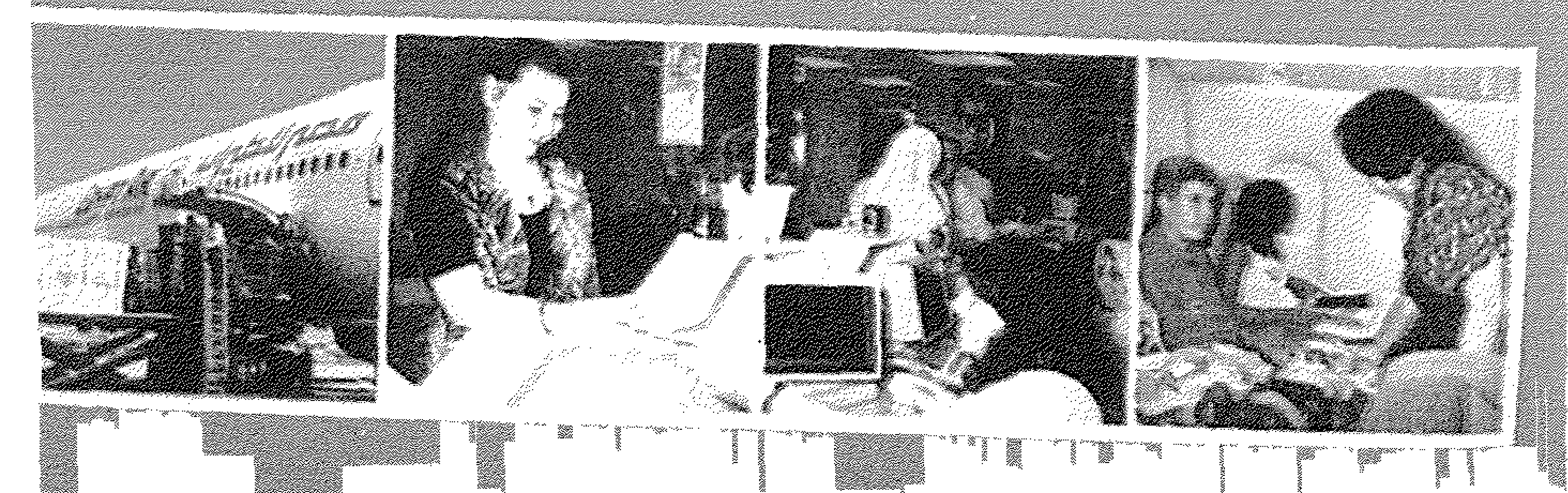
دول العالم فى طلب العلم وفى سبيل تحقيق رسالته، ويوضح الحقائق، ويجاهد بقلمه وبكل ما يملك من قدرات، ويجاهد نفسه حتى هذه اللحظة؛ فليأخذ المسلمون عامةً والصوفية خاصة العبرة من حياته، ولا يركنوا إلى الكسل والتبلُّد والاستكانة والضعف والجهل، ونرجو أن يكون عرضنا للدكتور مصطفى كنموذج للمسلم المحب للتصوف، دافعا قويا لهم، لمحاولة فهم التدين الإسلامى الصوفى والعمل الجاد، وأن يكون هدفنا من الكتاب قد وصل إلى القارىء. وهو معرفة حقيقة سر تكوين شخصية مصطفى محمود، وسر إبداعه فى مؤلفاته، وهذا السر هو تمسكه بالكتاب والسنة وعشقه للتصوف، وصحبته لأهل الله العارفين، والكتاب ما هو إلا مدخل لمعرفة كاتبنا من زاوية جديدة على القارىء، ودعوة لقراءة د. مصطفى محمود من جديد، وإن خرج القارىء بهذا المفهوم. فقد أدينا ما علينا بفضل الله وعونه.

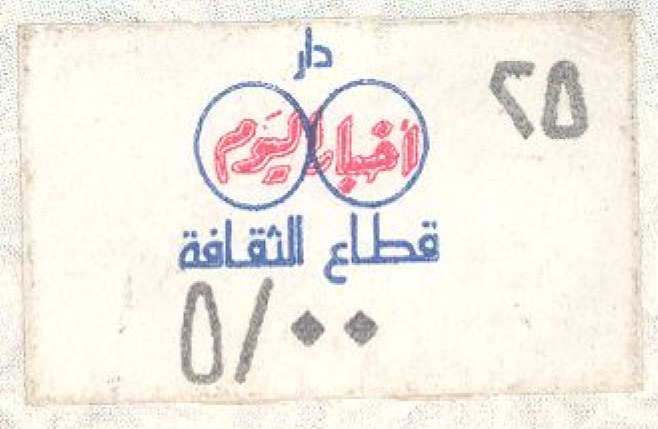
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ﷺ. وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع ١٩٩٧/٩٩
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0780 - 8





طبع بمطابع أخبار اليوم